جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

أثر السياق في تحديد مرجع الضمير عند ابن عطية (ت ٥٤٢هـ) في "المحرر الوجيز" سورة البقرة أنموذجًا

The Effect Of Context In Determining The Pronoun Reference According To Ibn Attiya (D. 542 AH) In "Al-Muharrar Al-Wajeez" Surat Al-Baqarah As An Example

إعداد
د. سعد كامل السيد أبو العز
مدرس أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الأول (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

أثر السياق في تحديد مرجع الضمير عند ابن عطية (ت ٥٤٢هـ) في "المحرر الوجيز" سورة البقرة أنموذجاً

سعد كامل السيد أبو العز

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، قنا، مصر

البريد الإلكتروني: *saadabual-ezz.4119@azhar.edu.eg*

الملخص

يقوم السياق بأدوار متنوعة وهامة في تفسير القرآن الكريم، وبيان دلالات ألفاظه، وكشف الغموض عنها، ورفع توهم احتمال غير المراد، وتعيين إحدى دلالات المشترك والمتضاد، وتحديد مرجع الضمير، وغير ذلك من الأدوار المنوطة به، وتقوم هذه الدراسة التطبيقية الموجزة بإبراز دور السياق بنوعيه في تحديد مرجع الضمير إلى مذكور في النص أو غير مذكور يسهم السياق في تقديره، وبيان مدى اعتماد ابن عطية(ت ٥٤٢هـ) في "المحرر الوجيز" على معطيات السياق في ذلك، ونظراً لسعة الكتاب المدروس وكثرة النماذج فيه اقتصر الباحث على أثر السياق في بيان مرجع الضمير في سورة البقرة (أنموذجاً للدراسة) متَّبِعاً في ذلك المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل.

الكلمات المفتاحية: السياق، سباق، لحاق، مرجع الضمير، ابن عطية.

The effect of context in determining the pronoun reference according to Ibn Attiya (d. ٥٤٢ AH) in "Al-Muharrar Al-Wajeez" Surat Al-Baqarah as an example

Saad Kamel Al-Sayed Abu Al-Ezz

Department of Language Fundamentals, College of Islamic and Arabic Studies for Boys, Qena

Email: *saadabual-ezz.4119@azhar.edu.eg*

Abstract :

Context plays various important roles in interpreting the Holy Quran, clarifying the meanings of its words, revealing their ambiguity, removing the illusion of the possibility of something other than what is intended, specifying one of the meanings of the common and the opposite, determining the reference of the pronoun, and other roles assigned to it. This brief applied study highlights the role of the context in its two types in determining the reference of the pronoun to something mentioned in the text or not mentioned, which the context contributes to estimating, and showing the extent to which Ibn Atiyah (d. 542 AH) relied in "Al-Muharrir Al-Wajeez" on the data of the context in that. Due to the vastness of the book studied and the abundance of models in it, the researcher limited himself to the effect of the context in clarifying the reference of the pronoun in Surat Al-Baqarah (as a model for the study), following in that the descriptive method based on induction and analysis.

Keywords: ***Context, Race, Catch Up, Pronoun Reference, Ibn Atiyah.***

المقدِّمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه صلاةً وسلاماً دائمين إلى أن نلقاه .

والحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فإن أولى من يُشكر، وأجدر أن يُحمد، وأحق أن يُعترف له بالفضل إنما هو المولى عز وجل، فله الحمد على ما أعطى، وله الشكر على ما أنعم وتفضَّل، **وبعد**...

فقد عُني العلماء القدامى من مفسرين ولغويين وأصوليين بالسياق عناية فائقة، وأنزلوه مكانه اللائق به، وأشادوا به وأبرزوا دوره في الكشف عن دلالات الألفاظ القرآنية وغيرها، واعتمدوا عليه في استنباط الأحكام الفقهية من القرآن والحديث، كما اعتمدوا عليه أيَّما اعتماد في تحديد مرجع الضمير، وكان من بين هؤلاء المفسرين ابن عطية (٥٤٢هـ) الذي استند إلى السياق، واعتمد على معطياته، واتخذ منه دليلاً وحجة على بيان مرجع الضمير وغيره، فعمدت إلى كتابه " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" مستخرجاً النماذج التي اعتمد فيها ابن عطية على السياق في تحديد مرجع الضمير إلى مذكور أو غير مذكور في سورة البقرة، وجمعتها في بحث تحت عنوان : "أثر السياق في تحديد مرجع الضمير عند ابن عطية (ت ٥٤٢هـ) في "المحرر الوجيز" سورة البقرة أنموذجاً " وكان من أسباب اختيار الموضوع :

- اتصاله بكتاب الله تعالى .
- لاحظت اهتمام ابن عطية بالسياق بنوعيه – اللغوي والحالي– فأردت إبراز دوره في الاهتمام بالسياق .
- إلقاء الضوء على دور السياق بنوعيه وأهميته في تحديد مرجع الضمير.
- أهمية تحديد مرجع الضمير في التفسير، وما يترتب عليه من وضوح الغرض، وتحديد المقصود.

- وجود النماذج التي تصلح للدراسة في المحرر الوجيز.

أما عن الدراسات السابقة فهي كثيرة ومتعددة، وسأذكر منها على سبيل المثال – منعاً للإطالة – ما يلي:

- دور السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية والقرآنية– بحث للدكتور/ محمد أحمد خضير– مجلة علوم اللغة – الناشر: دار غريب – القاهرة العدد الأول ١٩٩٩م.
- أثر السياق في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي بيان مرجع الضمير أنموذجاً– للباحث/ أحمد بن بلة– مجلة سيميائيات– العدد الثاني مارس ٢٠٢٢م.
- السياق غير اللغوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير ابن عطية – رسالة ماجستير للباحث/ صالح هزلة– جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي– كلية الآداب واللغات – الجزائر– ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م .
- السياق وأثره في توجيه الخطاب القرآني في كتاب " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للشنقيطي– رسالة ماجستير للباحث/ إسماعيل يوسفي–جامعة قاصدي مرباح ورقلة– كلية الآداب واللغات– قسم اللغة والأدب العربي– ١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م.

واتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، فرصدت النماذج الصالحة للدراسة ورتبتها حسب ورودها في سورة البقرة، وذكرت قول الشيخ معلقاً عليه عارضاً أقوال المفسرين من وافقه أو خالفه، مستخلصاً النتيجة ومقدماً الدليل السياقي لمرجع الضمير، ومبيناً مدى اعتماد ابن عطية على السياق ومعطياته في تحديد مرجع الضمير.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مبحثين تسبقهما مقدمة وتمهيد، وتزيلهما

خاتمة وفهرس للمصادر والمراجع كالتالي:

المقدمة: واشتملت على أسباب اختيار الموضوع، وبعض الدراسات السابقة، وخطة البحث، وبيان المنهج المتبع في الدراسة .

التمهيد: وكان تحت عنوان: ابن عطية والسياق، وجاء فيه: أولاً: التعريف بابن عطية. ثانياً: موقف ابن عطية من السياق.

المبحث الأول: أثر السياق في تحديد مرجع الضمير إلى مذكور، واشتمل على النماذج التي عاد الضمير فيها على مذكور.

المبحث الثاني: أثر السياق في تقدير مرجع الضمير إلى غير مذكور، واشتمل على النماذج التي عاد الضمير فيها على غير مذكور.

الخاتمة: ودوَّنت فيها أهم النتائج التي تمخَّض عنها البحث.

الفهرس: واشتمل على قائمة المصادر والمراجع التي استقى منها البحث مادته .

وبعد فهذا جهد المقل آمل أن يحظى بالقبول، فإن وفَّقْت فبفضل من الله ومنة، وإن قصَّرت فسمة البشر؛ لذا أرجو من الله – تعالى– التوفيق والسداد؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه .

د/ سعد كامل السيد أبو العز

اكتوبر ٢٠٢٤م

التمهيد

ابن عطية والسياق

أولاً: ابن عطية

نسبه ومولده: هو عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي[١] .

مولده: ولد ابن عطية سنة إحدى وثمانين وأربعمائة من الهجرة [٢].

شيوخه: سمع أباه، وابن عم أبيه القاضي أبا محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، وأبا الحسن بن الباذش، وتفقَّه بأبي محمد بن السماك، وسمع أبا عبد الله بن الحاج، وأبا الحسن بن مغيث، وأبا القاسم بن ورد، وأبا الفضل عياض، وأجاز له أبو بكر بن غالب بن عطية، وأبو محمد بن عتاب، وأبو بحر الأسدي، وأبو القاسم بن بقي، وأبو بكر بن العربي، وأبو الحسن شريح، وأبو الفضل بن شرف، وأبو عبد الله بن أبي الخصال، وغيرهم[٣].

قال ابن بشكوال: روى عن أبيه، والحسن بن عبيد الله الحضرمي المقرئ ، ومحمد بن حارث النحوي، ومحمد بن أبي غالب القروي، ومحمد بن نعمة، والحافظ أبي علي

---

(١) ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأبي جعفر الضبي ص ٣٨٩- دار الكتاب العربي- القاهرة ١٩٦٧م، الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٤١٢/٣- دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ١٤٢٤هـ .

(٢) ينظر: بغية الملتمس٣٨٩/١، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي لابن الأنبار ص ٢٦٣- مكتبة الثقافة الدينية – مصر- ط١ ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م .

(٣) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن سالم مخلوف ٢٣٣/١- تعليق: عبد المجيد خيالي- دار الكتب العلمية لبنان ط١ ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م .

الغسَّاني، وأخذ بمصر عن أبي الفضل عبد الله بن الحسين الجوهري، وبالمهدية عن محمد بن معاذ التميمي[١].

تلاميذه: حدَّث عنه جُلَّة، منهم: أبو الحسن بن عميرة ، وعبد المنعم بن الفرس، وأبو الحسن علي بن أحمد الشقوري، والحافظ أبو القاسم بن حبيش، وأبو محمد بن عبيد الله السبتي، وأبو جعفر بن مضاء، وأبو جعفر بن حكم، وأبو بكر بن أبي جمرة، وغيرهم [٢] .

مؤلفاته: الَّف كتابه المسمى: " الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيته كل مطار، وألف "برنامجاً"، وهو كتاب ضمَّنه مروياته وأسماء شيوخه [٣] .

ثناء العلماء عليه:

لقد كثر ثناء العلماء على ابن عطية في وصف أخلاقه وزهده وورعه وتقواه وذكاءه وحدة عقله وعلمه، فقال عنه الذهبي: كان أديباً شاعراً لغوياً دَيِّناً فاضلاً، وكان

---

(١) ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/٤٥- تح: زكريا عميرات- دار الكتب العلمية- بيروت ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م .

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي ١/٧٨٧- تح: بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي ط١ ٢٠٠٣م، طبقات المفسرين العشرين للسيوطي ص٦١- تح: علي محمد عمر- مكتبة وهبة- القاهرة- ط١ ١٣٩٦هـ، طبقات المفسرين للداوودي ١/٢٦٦- دار الكتب العلمية- بيروت (بلا ط وتاريخ)، شجرة النور الزكية ١/٢٣٣

(٣) ينظر: طبقات المفسرين للداوودي ١/٢٦٦، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر لعادل نويهض١/٢٥٧- مؤسسة نويهض- بيروت- ط٣ ١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م، تاريخ الإسلام ١١/٧٨٧، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز آبادي ص ١٧٨- دار سعد الدين- ط١ ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

فقيهاَ عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، بارع الأدب بصيراً بلسان العرب، ذا ضبطٍ وتقييد، وتحرٍّ وتجويد، وذهن سيَّال ، وفكرٍ إلى موارد المشكل ميَّال، ولو لم يكن له إلا تفسيره الكبير لكفاه [١] .

قال ابن الزبير: كان فقيهاً جليلاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، نحويّا لغويا أديباً، بارعاً شاعراً مفيداً، ضابطاً سُنِّيا، فاضلاً من بيت علم وجلالة، غاية في توقد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف، وولِّي قضاء المرية، يتوخى الحق والعدل، وألَّف تفسير القرآن العظيم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها [٢].

وجاء في كشف الظنون: وقد أثنى أبو حيان على ابن عطية قائلاً: هو أجلُّ من صنَّف في علم التفسير، وأفضل من تعرَّض للتنقيح فيه والتحرير، وقيل: كتاب ابن عطية أقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص [٣] .

ولو تتبعت أقوال العلماء في الثناء على ابن عطية لاحتاج ذلك إلى صفحات كثيرة ، لكن اقتصرت على أهم ما قيل فيه، منعاً للإطالة .

وفاته:

اختُلِف في سنة وفاته فقيل: تُوفي – رحمه الله– في الخامس عشر من رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة [٤]، وقيل: سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، وقيل: سنة ست وأربعين وخمسمائة [٥] .

---

(١) ينظر: تذكرة الحفاظ ٤٥/٤، تاريخ الإسلام ٧٨٧/١١ .

(٢) ينظر: بغية الوعاة ٧٣/٢ .

(٣) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ١٦١٣/٢– مكتبة المثنى – بغداد ١٩٤١م .

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام ٧٨٧/١١ ، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٦١ .

(٥) ينظر: تذكرة الحفاظ ٤٥/٤، بغية الوعاة ٧٣/٢، معجم المفسرين ٢٥٧/١ .

ثانياً: السياق

لقد ذكرت تعريف السياق وأقسامه وتحدثت عنه باستفاضة في رسالتي للعالمية التي كانت بعنوان: " السياق وأثره الدلالي في كتاب الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحمد الأمين الهرري" كلية اللغة العربية بالزقازيق ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م، في التمهيد (ص ٤٥) وما بعدها، ولكن من باب التذكير سأعرض لتعريفه وأقسامه وموقف ابن عطية منه دون إسهاب .

مفهوم السياق

لغة: ترجع كلمة السياق في اللغة إلى الجذر اللغوي (س و ق) وتؤول استعمالات هذا الجذر إلى معنى التتابع المنتظم في الحركة توصُّلاً إلى غاية محددة دون أن يكون هناك انقطاع أو انفصال [١] .

قال ابن منظور: ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً وهو سائق وسوَّاق شُدِّد للمبالغة ... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة [٢].

اصطلاحاً: نستطيع تحديد مفهومه فنقول: هو ما يسبق أو يلحق الوحدة اللغوية من وحدات أخرى تتحكم في وظيفتها، وتساعد في بيان معناها، أو الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة أو العبارة المشتملة عليها [٣].

---

(١) ينظر: السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي للمثنى عبد الفتاح محمود ص ١٢– رسالة دكتوراه – جامعة اليرموك– إربد– الأردن– ٢٠٠٥م .

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (س و ق)١٠/١٦٦– دار صادر بيروت– ط٣ ١٤١٤هـ.

(٣) ينظر: علم الدلالة أحمد مختار عمر ص ٦٨: ٧١ – عالم الكتب – ط٥ ١٩٩٨م ، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/عبد الفتاح البركاوي ص ٤٥– (بلا ط وتاريخ) .

وبناءً على ذلك يمكن تقسيم السياق إلى قسمن رئيسيين هما:

السياق اللغوي أو المقالي: وهو" ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص" [١] يعني ما يسبق الكلمة أو يلحق بها من كلمات أخرى لها أكبر الأثر في تحديد دلالتها وبيان معناها .

السياق غير اللغوي أو سياق الحال أو الموقف وهو: " الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام " [٢].

أو هو " مجموع العناصر الاجتماعية والثقافية المتصلة بالنص الكلامي والتي تؤثر في فهمه وفي تحديد دلالات ألفاظه" [٣].

ثانياً: موقف ابن عطية من السياق :

وجَّه ابن عطية عنايته للسياق شأنه في ذلك شأن المفسرين القدامى الذين أوْلوا السياق عناية كبيرة وأنزلوه مكانه اللائق به، وأشادوا به وأبرزوا دوره في الكشف عن دلالات الألفاظ القرآنية، وتوضيح غامضها مستندين لمعطياته سباقاً ولحاقاً، وسياق الحال والموقف من أسباب النزول وغيرها.

وكان من مظاهر عناية ابن عطية بالسياق الاعتماد عليه في تفسير دلالة المفردات عند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ (النساء: ٨٧) " والجمع هنا بمعنى الحشر؛ فلذلك حسنت

---

(١) دلالة السياق للبركاوي ص ٤٥ .

(٢) السابق ص ٤٥ .

(٣) في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات د/ عبد الكريم جبل – ص٧٤- دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧م .

بعده إلى، أي: إليه السَّوق والحشر" [١]

وكذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ (الأنعام:٩٧) " ظلمات هي هاهنا على حقيقتها في ظلمة الليل بقرينة النجوم التي لا تكون إلا بالليل " [٢].

الاستناد إلى السياق في ترجيح بعض القراءات القرآنية، ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ (البقرة : ١٠) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر "يكذِّبون" بضم الياء وتشديد الذال، وقرأ الباقون بفتح الياء وتخفيف الذال، فالقراءة بالتثقيل يؤيدها قوله تعالى قبل: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة : ٨) فهذا إخبار بأنهم يكذِّبون، والقراءة بالتخفيف يؤيدها أن سياق الآيات إنما هي إخبار بكذبهم، والتوعد بالعذاب الأليم متوجه على الكذب في مثل هذه النازلة؛ إذ هو منطوٍ على الكفر، وقراءة التثقيل أرجح [٣] .

استخدم ابن عطية السياق في ترجيح دلالة على أخرى، من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ (البقرة: ١٤٠) اختُلِف في الشهادة هنا ما هي؟ فقال مجاهد والحسن والربيع: هي ما في كتبهم من أن الأنبياء على الحنيفية لا على ما ادَّعوا هم، وقال قتادة وابن زيد: هي ما عندهم من الأمر بتصديق محمد – صلى

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٨٨/٢– تح: عبد السلام عبد الشافي– دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ١٤٢٢هـ.

(٢) المحرر الوجيز ٣٢٦/٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٩٣/١، ٩٤ .

الله عليه وسلم- واتِّباعه، والأول أشبه بسياق معنى الآية [١] فقد استند إلى السياق في ترجيح معنى الشهادة بأنها ما ورد في كتب اليهود من أن الأنبياء على دين الإسلام .

اتخذ ابن عطية من السياق دليلاً على ضرورة التقديم والتأخير حين عرض لتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ (آل عمران:٣٦) تريد في امتناع نذره إذ الأنثى تحيض، ولا تصلح لصحبة الرهبان، قاله قتادة والربيع والسدي وعكرمة وغيرهم، وبدأت بذِكْر الأهم في نفسها، وإلا فسياق قصتها يقتضي أن تقول: وليست الأنثى كالذكر، فتضع حرف النفي مع الشيء الذي عندها وانتفت عنه صفة الكمال للغرض المراد[٢]

استند إلى السياق في إثبات أن المراد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ (الأنعام: ٨ ، ٩) كفار العرب وليس غيرهم في قوله: ويقال: لَبَس الرجلُ الأمر يلبسه لبساً إذا خلطه، وذكر بعض الناس في هذه الآية أنها نزلت في أهل الكتاب، وسياق الكلام ومعانيه يقتضي أنها في كفار العرب [٣].

اتخذ من السياق دليلاً على المحذوف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ (النساء:٩) ومفعول يخشى محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، وحَسُن حذفه من حيث يتقدَّر فيه التخويف بالله تعالى [٤] .

---

(١) المحرر الوجيز ٢١٧/١ .

(٢) المحرر الوجيز ٤٢٥/١.

(٣) المحرر الوجيز ٢٧٠/٢ .

(٤) المحرر الوجيز ١٣/٢ .

وكذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (الأعراف:١١٣) هنا محذوفات يقتضيها ظاهر الكلام، وهي أنه بعث إلى السحرة وأمرهم بالمجيء [١] . اعتمد على السياق في تعيين إحدى دلالات المشترك اللفظي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (البقرة: ٦٠) والعين اسم مشترك، وهي هنا منبع الماء [٢].

وكذا اعتمد عليه في تعيين إحدى دلالتي المتضاد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾ (يوسف:٤٢) " الظن ها هنا بمعنى اليقين؛ لأن ما تقدم من قوله قضي الأمر يلزم ذلك" [٣] فقد استخدم سياق لغوي سابق في التأكيد على أن الظن هنا يقين.

استند إلى السياق في بيان عموم المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ (هود:١٧) والأحزاب ها هنا يراد به جميع الأمم، وروى سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: " ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة، ولا من اليهود والنصارى ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار" [٤] فقلت أين مصداق هذا من كتاب الله ؟ حتى وجدته في هذه الآية [٥].

كما استند إلى السياق ومعطياته في تحديد مرجع الضمير، وفيما يلي من صفحات دراسة لأثر السياق في تحديد مرجع الضمير عند ابن عطية .

---

(١) المحرر الوجيز ٤٣٨/٢ .

(٢) المحرر الوجيز ١٥٢/١ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٤٦/٣ .

(٤) الحديث ورد في المستدرك على الصحيحين للحاكم برقم ٣٣٠٩– ٣٧٢/٢– تح: مصطفى عبد القادر عطا– دار الكتب العلمية – بيروت– ط١ ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م .

(٥) المحرر الوجيز ١٥٨/٣ .

المبحث الأول

أثر السياق في تحديد مرجع الضمير إلى مذكور

النموذج الأول

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ (البقرة: ١٧)

نص الشيخ: قال جمهور النحاة: جواب «لما» ذهب، ويعود الضمير من «نورهم» في هذا القول على (الذي)، ويصح شبه الآية بقول الشاعر: الأشهب بن رميلة: [الطويل] وإنّ الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كلّ القوم يا أمّ خالد[١]

وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد، لأن بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق ... وقال قوم: جواب «لما» مضمر، وهو طفئت، والضمير في «نورهم» على هذا للمنافقين... قال القاضي أبو محمد: وهذا القول غير قوي [٢].

ذكر الشيخ في تحديد مرجع الضمير في "نورهم" قولين:

الأول: أن الضمير يعود على "الذي" على اعتبار أن جواب " لما " "ذهب" أي أن الضمير يعود على أقرب مذكور، وهذا استناد إلى ظاهر السياق.

الثاني: أن الضمير في "نورهم" يعود على المنافقين على اعتبار أن جواب لما مضمر وهو طفئت، أي أنه شبَّه حال المنافقين بمستوقد النار بعد انطفائها يمكث في الظلام

---

(١) البيت من الطويل وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة للأزهري (ف ل ج) ٦١/١١- تح: محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط١ ٢٠٠١م، ونسب للأشهب بن رميلة في المحكم والمحيط العظم لابن سيده (ل ذ ي)١٠٨/١٠- تح: د/ عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية – بيروت- ط١ ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

(٢) المحرر الوجيز ١٠٠/١ .

تائهاً حيراناً، كذلك المنافقون ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون بعد الضياء الذي كانوا فيه في الدنيا؛ بما كانوا يظهرون بألسنتهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره مستبطنون[١]، وواضح أن الشيخ يؤيد الرأي الأول؛ لاستناده – عقب القول الثاني– إلى قول القاضي أبي محمد: وهذا القول غير قوي . وقد ذكر القولين جميعاً بعض المفسرين [٢].

بينما صرَّح البعضُ بأن الضمير في "بنورهم" عائد على "الذي" باعتبار معناه فهو في معنى الجمع "الذين" [٣] أخذاً بظاهر السياق وعود الضمير إلى أقرب مذكور. وبعد عرض الآراء والأقوال وجب الاحتكام إلى السياق ليعيِّن لنا قولاً من القولين سالفي الذكر، ويرفع الاحتمال ويزيل التردد، فهو يقدم الأدلة على أن الضمير في "بنورهم" للمنافقين– خلافاً لما أيَّده به ابن عطية– مستنداً في ذلك إلى:

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١/٣٤٥– تح: د/ عبد الله التركي– دار هجر– ط١ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م .

(٢) ينظر: تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ١/١٠٦– تح: د/عبد الله بن ابراهيم الوهبي– دار ابن حزم بيروت– ط١ ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/٧٢– تح: د/ عبد الله الخالدي– شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– ط١ ١٤١٦هـ، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ١/١٣٠– تح: صدقي محمد جميل – دار الفكر بيروت– ط ١٤٢٠هـ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/١٩١– تح: الشيخ محمد عوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود– دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ ١٤١٨هـ .

(٣) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ١/١٦٣– تح: د/ أحمد الخراط – دار القلم – دمشق (بلا ط وتاريخ) ، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١/٣٧٧– تح: الشيخ عادل عبد الموجود، الشيخ علي معوض– دار الكتب العلمية– بيروت– ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م، غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري – ١/١٧٣– تح: الشيخ زكريا عميرات – دار الكتب العلمية بيروت– ط١ ١٤١٦هـ ، تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ص ٥– دار الحديث – القاهرة .

(١) سياق لغوي لاحق من الآية نفسها، وهو قوله (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) فالحديث عن المنافقين بصيغة الجمع – وإن لم يسبق لهم ذكر صريح– لكن الآيات تتحدث عنهم .

(٢) سياق لغوي آخر يتمثل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ (الحديد: ١٣) فإذا كان يوم القيامة أعطى الله – تعالى– المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، وأعطى المنافقين الضالين كذلك خديعة لهم، ثم يبعث الله ريحاً وظلمة فتطفئ نور المنافقين فيقولون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم [١] .

(٣) سياق حال خارجي يتمثل في سبب نزول هذه الآيات التي تتحدث عن المنافقين ، وأنها تتحدث في نعتهم، فمثلهم في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة فاستضاء واستدفأ بها، ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف فأمن، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيراً، كذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها، فإذا ماتوا عادوا إلى الخوف والظلمة، وهَوَوا في العذاب والنقمة [٢].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٢٣٧/٩– تح: الإمام أبي محمد بن عاور – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م .

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٩١/١– تح: عبد الله محمود شحاتة – دار إحياء التراث– بيروت ط١١٤٢٣هـ، تفسير الثعلبي١٦٠/١، الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٩٣/١– تح: مجموعة من المحققين– دار الكتب العلمية– بيروت– ط١ ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م

النموذج الثاني

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (البقرة: ٢٣)

نص الشيخ: واختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله "مِثْلِهِ" : فقال جمهور العلماء: هو عائد على القرآن ثم اختلفوا، فقال الأكثر: من مثل نظمه ورصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها، ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خصّ به القرآن، وبه وقع الإعجاز على قول حذاق أهل النظر... وقال بعضهم: مِنْ مِثْلِهِ في غيوبه وصدقه وقدمه، فالتحدي عند هؤلاء وقع بالقدم، والأول أبين .

وقالت فرقة: الضمير في قوله مِنْ مِثْلِهِ عائد على محمد صلى الله عليه وسلم، ثم اختلفوا، فقالت طائفة: من أمي صادق مثله، وقالت طائفة: من ساحر أو كاهن أو شاعر مثله على زعمكم أيها المشركون.

وقالت طائفة: الضمير في مِثْلِهِ عائد على الكتب القديمة التوراة والإنجيل والزبور[١].

عرض الشيخ ثلاثة أقوال- دون ترجيح- لتحديد مرجع الضمير في قوله "مثله" :

الأول: أنه عائد على القرآن الكريم .

الثاني: أنه عائد على محمد صلى الله عليه وسلم .

الثالث: أنه عائد على الكتب السابقة، وقد ذكر تلك الأقوال جمهور من العلماء [٢]

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ١٠٦/١، ١٠٧ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٣٧٣/١، ٣٧٤ ، بحر العلوم للسمرقندي ٣٤/١، ٣٥- (بلا ط وتاريخ) ، تفسير الثعلبي ١٦٨/١، الوسيط للواحدي ١٠٢/١، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٩٨/١- دار الكتاب العربي- بيروت ط٣ ١٤٠٧هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٥٧/١- تح: محمد المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت ط١ ١٤١٨هـ .

وحيث كثرت الأقوال، وتعدَّدت الآراء وجب العود إلى السياق والاحتكام إليه؛ ليعيِّن لنا أحدَ هذه الأقوال ويرد ما عداه، ويقدم لنا دليلاً وحجةً يُسْتَنَد إليهما في عود الضمير في "مثله" إلى القرآن معتمداً في ذلك على عدة سياقات عامة كالتالي:

(١) سياق لغوي يتمثل في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (يونس: ٣٨)، والمقصود هنا القرآن الكريم بدليل قوله على حد قولهم "افتراه" وقوله " سورة مثله"

(٢) سياق لغوي آخر وهو قوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ (الإسراء:٨٨) فالآية هنا ذكرت القرآن صراحة، وأنه معجز، ولا يستطيعون الإتيان بمثله .

(٣) سياق لغوي آخر وهو قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (الطور: ٣٤) فقوله بحديث مثله يؤيد أن المراد بالكناية في "من مثله" القرآن.

(٤) سياق آخر في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ (هود: ١٣)

وقد أكد أبو حيان– مقدماً الأدلة السياقية والمنطقية– أن الهاء في (من مثله) الراجح أن تعود على القرآن، وهو قول أكثر المفسرين، ورجحانه من وجوه:

أحدها: أن الارتياب أولاً إنما جيء به منصبًّا على المنزَّل لا على المُنزَل عليه، فكان عود الضمير عليه أولى.

الثاني: أنه قد جاء في نظير الآية وهذا السياق قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ ﴿عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾

الثالث: اقتضاء ذلك كونهم عاجزين عن الإتيان سواء اجتمعوا أو انفردوا، وسواء

كانوا أميين أم كانوا غير أميين، وعوده على المنزَّل يقتضي كون آحاد الأميين عاجزاً عنه؛ لأنه لا يكون مثله إلا الشخص الواحد الأمي، فأما لو اجتمعوا أو كانوا قارئين فلا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى[١].

النموذج الثالث

قال تعالى: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ (البقرة: ٢٦)

نص الشيخ: " قال القاضي أبو محمد: والضمير في أنه عائد على المثل" [٢]

صرَّح الشيخ بأن الضمير في قوله " أنه الحق" عائد على المثل، يعني فيعرفون أن المثل الذي ضربه الله لما ضربه له مثل، فيعلمون أن هذا المثل الحق من ربهم، وأنه كلام الله ومن عنده [٣]. وقد صرَّح جمهور من المفسرين بأن الضمير في " أنه الحق" للمثل أو ل" أن يضرب" [٤] أي ضرب هذا المثل حق.

قال السمين الحلبي: والضمير في أنه عائد على المثل، وقيل على ضرب المثل – يعني على المصدر المفهوم من الفعل يضرب– وقيل على ترك الاستحياء [٥] المفهوم من قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا﴾ .

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١٦٩/١، ١٧٠ .

(٢) المحرر الوجيز ١١١/١ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٤٠٦/١، ٤٠٧ .

(٤) ينظر: تفسير الرازي٣٦٥/٢، تفسير البيضاوي ٦٣/١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٧٢/١– تح: يوسف على بديوي – دار الكلم الطيب – بيروت – ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م ، تفسير البيضاوي ٢٠٥/١ .

(٥) ينظر: الدر المصون ٢٢٩/١، اللباب لابن عادل ٤٦٧/١، ٤٦٨ .

ومهما قُدِّر مرجع الضمير هنا فالمعنى يحتمله والسياق يقبله ولا يرفضه، غير أن ابن عطية صرَّح بعود الضمير إلى " مثلاً " ولم يذكر غيره؛ استناداً إلى ظاهر السياق بعود الضمير إلى أقرب لفظ مذكور في الآية .

ولكن هناك سياق خارجي – سياق حال أو موقف – يتمثل في سبب نزول الآية يؤيد أن مرجع الضمير في " أنه الحق" إلى ضرب المثل، ورد عن ابن عباس أنه لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين يعني قوله : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ " وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (البقرة:١٩) قالوا: الله أجلُّ وأعلى من أن يضرب الأمثال فأنزل الله هذه الآية

وقال الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتاب، وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود، وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية .

عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ قال: وذلك أن الله ذكر آلهة المشركين فقال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ (الحج:١٩) وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد أي شيء يصنع بهذا ؟ فأنزل الله هذه الآية [١].

(١) ينظر: أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٣، ٢٤– تح: عصام الحميدان – دار الإصلاح – الدمام – ط٢ ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م ، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ٩٩/١، ١٠٠– تح: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي– بيروت– ط١ ١٤٢٠هـ، البحر المحيط ١٩٣/١، ١٩٤ .

النموذج الرابع

قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (البقرة:٢٨)

نص الشيخ: " والضمير في إليه عائد على الله – تعالى– أي إلى ثوابه أو عقابه، وقيل: هو عائد على الإحياء، والأول أظهر" [١] .

ذكر ابن عطية في تحديد مرجع الضمير في قوله "إليه" قولين:

الأول: أنه يعود على الله تعالى.

الثاني: أنه يعود على الإحياء بعد الإماتة، وقد صرَّح بأن الأول أظهر؛ اتفاقاً مع نسق الآية، وهذا استدلال واضح بالسياق اللغوي، واستناد إلى معطياته، والمعنى: ثم إليه تُرجعون في الآخرة فتثابون بأعمالكم [٢]، فالمراد أنهم إلى حكمه يُرجعون لأنه – تعالى– يبعث من في القبور ويجمعهم في المحشر، وذلك هو الرجوع إلى الله تعالى [٣]

وهذه الأقوال تؤكد ما صرح به ابن عطية من رجوع الضمير إلى الله تعالى.

---

(١) المحرر الوجيز ١١٤/١ .

(٢) ينظر: بحر العلوم ٣٩/١، تفسير الثعلبي ١٧٣/١، تفسير البيضاوي ٦٥/١، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢١٨/١– دار الكتاب الإسلامي– القاهرة (بلا ط وتاريخ) ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ٤٣/١– مطبعة بولاق القاهرة ١٢٨٥هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ٧٧/١– دار إحياء التراث العربي– بيروت (بلا ط وتاريخ) ، فتح القدير للشوكاني ٧١/١– دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – بيروت ط١١٤١٤هـ .

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٣٧٨/٢ .

وإذا أمعنا النظر وأعملنا الفكر في الآية الكريمة نلاحظ دقة ابن عطية واعتماده على السياق في تحديد مرجع الضمير هنا؛ فما ذهب إليه تؤيده عدة سياقات:

أولاً: السياق الأصغر- سياق الآية- ويمثله سياق سابق من الآية الكريمة، وهو أن الضمائر السابقة في قوله: "(فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ)عائدة على الله تعالى، وبالتالي فالهاء في " إليه" عائدة على الله سبحانه وتعالى[١] اتفاقاً مع نسق الآية وكذا تقديم "إليه" على "ترجعون" للإشارة إلى أنه وحده هو الذي إليه يرجعون[٢]، فسياق التقديم والتأخير أفاد تخصيص الرجوع إلى الله- تعالى- وتأكيد عود الضمير إليه .

ثانياً: السياق الأكبر- سياق القرآن – وتمثله عدة آيات تؤكد أن الضمير في الآية يرجع إلى الله تعالى، ومنها:

(١) ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥ ﴾ (البقرة:٢٤٥) .

(٢) ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨) .

(٣) ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨ ﴾ (القصص: ٨٨) .

النموذج الخامس

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ (البقرة: ٣٦)

نص الشيخ: " والضمير في عَنْها عائد على الشَّجَرَةَ في قراءة من قرأ «أزلَّهما»[٣]، ويحتمل أن يعود على الْجَنَّةَ، فأما من قرأ« أزالهما» فإنه يعود على الْجَنَّةَ فقط، وهنا محذوف يدل

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٢١٣/١ ، اللباب في علوم الكتاب ٤٨٦/١ .

(٢) ينظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ١٨٦/١ – دار الفكر العربي (بلا ط وتاريخ) .

(٣) قرأ جمهور القراء " د" وقرأ الحسن وأبو رجاء وحمزة " فأزالهما" وقيل القراءتان بمعنى؛ وذلك أن قراءة الجماعة يجوز أن تكون من زلَّ عن المكان إذا تنحى عنه فتكون من الزوال كقراءة حمزة، أو صرفهما عن طاعة الله – تعالى- فأوقعهما في الزلة لأن إغواءه وإيقاعه لهما في الزلة سبب للزوال، ويحتمل أن تفيد كل قراءة معنى مستقلاً؛ فقراءة الجماعة تؤذن بإيقاعهما في الزلة فيكون زلَّ استزل، وقراءة حمزة تؤذن بتنحيتهما عن مكانهما . ينظر: البحر المحيط ٢٦٠/١، الدر المصون ٢٨٧/١، ٢٨٨ .

عليه الظاهر، تقديره فأكلا من الشجرة " . [١]

ذكر الشيخ قولين في مرجع الضمير في " عنها " :

الأول: أنه يعود على الشجرة في قراءة من قرأ «أزلَّهما» بتشديد اللام .

الثاني: أنه يعود على الجنة في قراءة من قرأ " فأزالهما "، ثم يعود إلى حجة سياقية تؤكد أن الضمير في "عنها" للشجرة، وهي قوله: وهنا محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فأكلا من الشجرة ، ثم ترتَّب على الأكل الخروج من الجنة .

قال ابن كثير: يصح أن يكون الضمير في قوله "عنها " عائداً إلى الجنة ، فيكون معنى الكلام : فأزالهما أي: فنحَّاهما – كما قال حمزة – ويصح أن يكون عائداً على أقرب المذكورين وهو الشجرة ، فيكون معنى الكلام " فأزلهما" من قبيل الزَّلل فعلى هذا يكون تقدير الكلام "فأزلهما الشيطان عنها" أي بسببها[٢] .

ويأبى السياق إلا أن يعيِّن مرجع الضمير وهو الشجرة، وهي أقرب مذكور، ويدعم ذلك بالأدلة السياقية المتمثلة فيما يلي:

(١) سياق لغوي سابق في الآية السابقة لهذه الآية وهو النهي عن قربان الشجرة قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (البقرة:٣٥) ، فعود الضمير على أقرب مذكور وهو الشجرة به يتبيَّن سبب الزلة، وسبب الخروج من الجنة؛ إذ لو لم يُجعَل الضمير

---

(١) المحرر الوجيز ١٢٩/١ .

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٣٥،٢٣٦/١، تفسير الإمام ابن عرفة لابن عرفة الورغمي٢٦٠/١ – تح: د/ حسن المناعي– مركز البحوث بالكلية الزيتونية– تونس– ط ١٩٨٦م ، الدر المصون ٢٨٧/١ ، فتح القدير ٨٠/١ .

عائداً إلى الشجرة لخلت القصة عن ذكر سبب الخروج [١].

(٢) سياق لغوي آخر يدعم عود الضمير في الآية إلى الشجرة، وهو قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝٢٠﴾ (الأعراف: ٢٠) .

(٣) سياق لغوي يتمثل في الإخبار عن الأكل من الشجرة وهو قوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: ٢٢) وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ (طه: ١٢١) .

(٤) قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ (طه: ١٢٠) .

كل هذه الأدلة السياقية تدعم وتؤكد عود الضمير في الآية إلى الشجرة .

النموذج السادس

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝٤٥﴾ (البقرة: ٤٥)

نص الشيخ: " واختلف المتأولون في قوله تعالى: (وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ)على أي شيء يعود الضمير؟ فقيل: على الصَّلاةِ، وقيل: على الاستعانة التي يقتضيها قوله وَاسْتَعِينُوا، وقيل: على العبادة التي يتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة، وقالت فرقة: على إجابة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وفي هذا ضعف، لأنه لا دليل له من الآية عليه.

---

(١) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن عاشور ٤٣٣/١- الدار التونسية ١٩٨٤م .

وقيل: يعود الضمير على الكعبة، لأن الأمر بالصلاة إنما هو إليها.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وهذا أضعف من الذي قبله"[١] .

عرض الشيخ عدة آراء في تحديد مرجع الضمير في قوله (وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ) فذكر أولاً أنه يرجع إلى الصلاة، وهي أقرب مذكور، أو على الاستعانة المفهومة من قوله (واستعينوا)، ثم ذكر أنه يرجع إلى العبادة الحاصلة من اقتران الصبر مع الصلاة، أو على إجابة محمد – صلى الله عليه وسلم – أو على الكعبة، ثم صرح بضعف القولين الأخيرين؛ لأنهما لا دليل عليهما، ولم يحكم بضعف ما قبلهما لوجود الدليل؛ لأن الصلاة أقرب مذكور، والاستعانة مفهومة من قوله (واستعينوا) ، والعبادة الحاصلة من اقتران الصبر مع الصلاة مدلول عليها بهما، فهو يتمسك بظاهر السياق، ويرجح عود الضمير إلى مذكور أو مدلول عليه، ويرفض ما عدا ذلك، والصحيح التمسك بالظاهر المفهوم، ولا يجوز تركه إلى خفي لا دليل عليه .

وعلى هذا فإن الأفضل أن تعود الهاء إلى المصدر المدلول عليه بالفعل (واستعينوا) أي: وإن الاستعانة لكبيرة، أو على الصلاة، أو على الصبر والصلاة، ونزِّلا منزلة الجمع مالم يلتبس قياساً على باب (صغت قلوبكما) (التحريم:٤)، وقيل تقديره: واستعينوا بالصبر وإنه لكبير، واستعينوا بالصلاة وإنها لكبيرة ، فاكتفى بذكر أحدهما [٢]

---

(١) المحرر الوجيز ١٣٧/١ .

(٢) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني١٣٧/١– دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة – مؤسسة علوم القرآن – بيروت (بلا ط وتاريخ) ، تفسير البغوي ١١٢/١ ، إيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري ص٩١– تح: د/ ضيف القاسمي– دار الغرب الإسلامي– بيروت ط١ ١٤١٥هـ ، الدر المصون ٣٣٠/١ .

وقد صرَّح البعض أن الضمير يعود إلى الصلاة، ولم يذكر غير ذلك [١].

وهو ما يؤيده السياق ويعضده مقدِّماً الدليل على ذلك، وهو عود الضمير إلى أقرب مذكور، ومطابقة الضمير (ها) للصلاة في الإفراد والتأنيث، كما أن ذلك لا يحتاج إلى تأويل لوضوحه .

قال أبو حيان: " وضمير الغائب يحتاج إلى مفسِّر، والأصل في مفسره أن يكون متقدِّماً عليه، فإذا تقدَّم اسمان مستويان في الإسناد كان الضمير عائداً على الأقرب إلا أن دلَّ دليل على أنه لغير الأقرب " [٢] .

ف"إذا احتمل الضمير العود على شيئين كان عوده على الأقرب أرجح" [٣].

---

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لمكي أبي طالب ٢٥٥/١- تح: مجموعة من المحققين- الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – جامعة الشارقة – ط١ ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٣٧/١- تح: حسين بن عكاشة ، ومحمد بن مصطفى الكنز- الفاروق الحديثة- القاهرة ط١ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م ، تفسير الراغب الأصفهاني ص ١٧٧- تح: د/ محمد عبد العزيز – كلية الآداب – جامعة طنطا – ط١ ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م ، التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب – ص ٨٠ – دار الفكر العربي- القاهرة .

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان ٩٤١/٢- تح: رجب عثمان محمد- مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م ، وينظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان ٢٩٥/٣- تح: د/ حسن هنداوي- دار القلم دمشق(بلا ط وتاريخ)، شرح ألفية ابن مالك للشاطبي ١٦٧/٥- تح: مجموعة من المحققين- معهد البحوث الإسلامية بجامعة أم القرى ط ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٨م ، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٩/٤- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي (بلا ط وتاريخ) .

(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة ٣٦/٨- دار الحديث القاهرة (بلا ط وتاريخ) .

وقد أيَّد الطبري أن الهاء والألف في " وإنها" عائدتان على الصلاة، وردَّ ما عدا ذلك مقدِّماً الحجة في قوله: وقد قال بعضهم : إن قوله "وإنها" بمعنى أن إجابة محمد – صلى الله عليه وسلم– ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر، فتجعل الهاء والألف كناية عنه، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته[١].

وعلى ذلك فلا يجوز ترك الظاهر المذكور إلى المقدر غير المذكور بلا قرينة صارفة إلى ذلك.

قال مكي أبو طالب: "بل تعود على الصلاة، وهذا أبين الأقوال؛ لقربها منها" [٢].

النموذج السابع

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (البقرة:٤٦) .

نص الشيخ: " والضمير في إليه عائد على الرب تعالى، وقيل على اللقاء الذي يتضمنه "ملاقوا" [٣] .

ذكر الشيخ في تحديد مرجع الضمير في "إليه" قولين :

الأول: أنه يعود إلى الرب تعالى.

الثاني: أنه يعود إلى اللقاء المفهوم من قوله "ملاقوا" .

وواضح من كلامه أنه يؤيد عود الضمير إلى الرب – تعالى– وهو الظاهر؛ لأنه أقرب مذكور.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٦٢١/١ .

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي أبي طالب ٩٢/١– تح: د/ حاتم صالح الضامن– مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ ١٤٠٥هـ .

(٣) المحرر الوجيز ١٣٨/١ .

وقد صرَّح جمهور من المفسرين أن الضمير في "إليه" للرب تعالى ذكره [١] .

بينما ذكر البعض عدة أقوال لمرجع الضمير هنا [٢].

قال أبو حيان: " اخْتُلِفَ فِي الضَّمِيرِ فِي إِلَيْهِ عَلَى مَنْ يَعُودُ، فَظَاهِرُ الْكَلَامِ وَالتَّرْكِيبِ الْفَصِيحِ أَنَّهُ يَعُودُ إِلَى الرَّبِّ، وَأَنَّ الْمَعْنَى: وَأَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، وَهُوَ أَقْرَبُ مَلْفُوظٍ بِهِ، وَقِيلَ: يَعُودُ عَلَى اللِّقَاءِ الَّذِي يَتَضَمَّنُهُ مُلَاقُو رَبِّهِمْ، وَقِيلَ: يَعُودُ عَلَى الْمَوْتِ، وَقِيلَ: عَلَى الْإِعَادَةِ، وَكِلَاهُمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مُلَاقُوا" [٣].

واضح من كلام أبي حيان أنه يؤيد رجوع الضمير إلى الرب، ثم يصرح بأن ذلك ظاهر الكلام والتركيب الفصيح، وأن لفظ الرب أقرب مذكور.

والقاعدة على أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور[٤] .

وقد أكد ذلك السياق القرآني في آيات كثيرة نذكر منها :

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢٢/١ ، الوسيط للواحدي ١٢٣/١ ، تفسير القرآن للسمعاني ٧٥/١ – تح: ياسر إبراهيم ، غنيم عباس – دار الوطن الرياض – ط١ ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م ، تفسير القرطبي ٣٧٦/١ ، الدر المنثور للسيوطي ١/ ١٦٥– دار الفكر– بيروت (بلا ط وتاريخ) ، روح البيان لإسماعيل حقي ١٢٥/١– دار الفكر– بيروت، فتح القدير ٩٦/١، التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير ص٧– مجمع الملك فهد لطباعة المصحف– السعودية – ط٢ ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م .

(٢) ينظر: الدر المصون ٣٣٤/١ .

(٣) البحر المحيط ٣٠٢/١ .

(٤) ينظر: جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني ص ١٢٥– المكتبة العصرية – بيروت – ط٢٨ ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م ، الموجز في قواعد اللغة العربية لسعيد الأفغاني ص ١٠٦– دار الفكر – بيروت ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م .

(١) قولـــــه تعـــــالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ (البقرة:٢٢٣) .

(٢) قولـــــه تعـــــالى: ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران : ٥٥) .

(٣) قولـــــه تعـــــالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (المائدة : ١٠٥) .

(٤) قولـــــه تعـــــالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ (الأنعام:١٠٨).

النموذج الثامن

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ﴾ (البقرة: ٧٢)

نص الشيخ: " والضمير في قوله فيها عائد على النفس، وقيل على القتلة " [(١)].

ذكر الشيخ في مرجع الضمير هنا قولين: الأول: أنه يعود على " نفساً" .

الثاني: أنه يعود على القتلة، وهي مصدر دل عليه الفعل " قتلتم" .

ومعنى قوله:" فَٱدَّٰرَأْتُمْ " فاختلفتم في قتلها فقال أهل هذه القرية لأخرى أنتم قتلتموه، وقال الآخرون: أنتم قتلتموه [(٢)].

---

(١) المحرر الوجيز ١/١٦٥ .

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ١/١١٥- تح: عبد الله شحاتة – دار إحياء التراث – بيروت – ط١ ١٤٢٣هـ.

قال الرازي: " والكناية في "فيها" للنفس أي: فاختلفتم في النفس، ويحتمل في القتلة؛ لأن قوله " قتلتم" يدل على المصدر" [١] أي: تدافعتم واختلفتم في القتل، أي: ألقى بعضكم على بعض " [٢] .

وقد صرَّح البعض أن الضمير للنفس، ولم يذكر ما عداه [٣]، وهذا ما يؤيده السياق، ويدعمه ظاهر القول، وذلك لما يلي:

أولاً: عود الضمير على النفس هو عود إلى أقرب مذكور، وهو القاعدة العامة إلا إذا أدى الأمر إلى شذوذ غير معقول، أو كان ذلك مستحيلاً [٤].

ثانياً: التطابق بين الضمير (ها) والنفس في الإفراد والتأنيث، فروعي المذكور (النفس) بعود الضمير مؤنثاً [٥] .

وتأنيث الضمير يعني راجعاً إلى (النفس) أي في النفس المقتولة كلكم يدفع قتلها عن نفسه إلى صاحبه [٦] .

---

(١) تفسير الرازي ٥٥١/٣ .

(٢) غريب القرآن للسجستاني ص ٩٨- تح: محمد أديب – دار قتيبة – سوريا ط١ ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م ، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٧٩/٢ ، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام لمحمد على الصابوني ٧٨/٢ – مكتبة الغزالي– دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت ط٣ ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م .

(٣) ينظر: تفسير التستري لأبي سهل بن عبد الله التستري ٣١/١- تح: محمد باسل– دار الكتب العلمية– بيروت ط١ ١٤٢٣هـ ، تفسير النيسابوري ٣١١/١ .

(٤) ينظر: زهرة التفاسير ٢٧٢/١، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث ٤٠٤/٣- أد/ فضل حسن عباس– دار النفائس الأردن – ط١ ١٤٣٧هـ .

(٥) ينظر: البحر المحيط ٤١٩/١ .

(٦) ينظر: العزب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير لمحمد الأمين الشنقيطي ١٤٤/١- تح: خالد عثمان – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة ط٢ ١٤٢٦هـ .

ويلاحظ هنا أن كلا المرجعين (النفس والقتلة) يقبلهما المعنى، والسياق يحتملهما؛ إذ لا يبعد أحدهما عن الآخر، فالاختلاف في قتل النفس أو في النفس هما بمعنى .

النموذج التاسع

قال تعالى: ﴿*وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (البقرة:٩٢)

نص الشيخ: "والضمير في قوله (من بعده) عائد على موسى عليه السلام، أي: من بعده حين غاب عنكم في المناجاة، ويحتمل أن يعود الضمير في بعده على المجيء " [(١)].

ذكر الشيخ مرجعين للضمير في الآية الكريمة: الأول: موسى عليه السلام .

الثاني: مجيء موسى عليه السلام، يعني المصدر المدلول عليه بالفعل جاءكم. وواضح من قوله: (يُحْتَمل) أنه يرجِّح عود الضمير على موسى؛ تمسُّكاً بظاهر السياق، وهو عود الضمير إلى أقرب مذكور.

وقد زاد الطبري الأمر توضيحاً في قوله: الهاء في قوله (من بعده) من ذكر موسى، وإنما قال من بعد موسى؛ لأنهم اتخذوا العجل من بعد أن فارقهم موسى ماضياً إلى ربه لموعده .

وقد يجوز أن تكون الهاء التي في (بعده) إلى ذكر المجيء، فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء البينات وأنتم ظالمون[(٢)]،

---

(١) المحرر الوجيز ١/١٨٠ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٢/٣٥٥ .

وقد ذكر ذلك بعض المفسرين [١].

بينما لم يذكر الكثير من المفسرين إلا أن الضمير يعود إلى موسى عليه السلام، أي: من بعد انطلاق موسى إلى الجبل لمناجاة ربه [٢].

وقيل من بعد هذا المجيء لا من بعد موسى، والمراد أنه لم يكن لهم عذر في ذلك الاتخاذ بعد بلوغ الدعوة وقيام الحجة [٣].

ولا يخفى أن في ترجيح القول الأول، وهو عود الضمير إلى موسى – كما هو واضح من قول ابن عطية– فيه دلالة واضحة على اعتماد ابن عطية على السياق اللغوي في تعيين مرجع الضمير عند تعدد الأقوال واختلاف الآراء .

وإذا احتكمنا إلى السياق اللغوي لوجدناه يرجح عود الضمير إلى موسى؛ لأنه أقرب مذكور، وهو ظاهر السياق، ولأنه لا يحتاج إلى تأويل بخلاف المصدر المؤول من الفعل (جاءكم) .

وعود الضمير إلى موسى يرشحه سياق لغوي سابق على هذه الآيات يتمثل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ (البقرة:٥١) فهذه الآية ليس فيها ذكر للمجيء فيتعين أن يكون المراد بالكناية في قوله (بعده) موسى عليه السلام .

---

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٣٥١/١، تفسير القرآن للسمعاني ١٠٩/١ ، زاد المسير ٨٨/١

(٢) ينظر: تفسير مقاتل ١٠٤/١، تفسير ابن أبي حاتم ٣٨/١١ ، تفسير السمرقندي ٥٢/١ ، تفسير الثعلبي ٢٣٦/١، تفسير البغوي ١٤٣/١، تفسير النسفي ١١٠/١، تفسير ابن كثير ٣٢٨/١، البحر المديد ١٣٦/١ .

(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٣١٩/١– الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .

وكذا سياق لغوي عام من القرآن يتمثل في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ (طه:٨٥) .

فالخطاب هنا لموسى عليه السلام يؤكد عود الضمير عليه في الآية محل الدراسة

النموذج العاشر

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (البقرة:٩٧) .

نص الشيخ: " وقوله تعالى: فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ الضمير في فَإِنَّهُ عائد على الله عز وجل، والضمير في نَزَّلَهُ عائد على جبريل- صلى الله عليه وسلم- والمعنى بالقرآن وسائر الوحي، وقيل: الضمير في «إنه» عائد على جبريل وفي نَزَّلَهُ على القرآن" [(١)].

ذكر الشيخ في مرجع الضميرين (فإنه ، ونزله) قولين:

الأول: أن الضمير في "فإنه" لله عز وجل، وفي نزله لجبريل عليه السلام، أي نزل الله جبريل بالقرآن وسائر الوحي، وقد حكم بضعفه الشوكاني [(٢)] .

الثاني: أن الضمير في "فإنه" لجبريل، وفي "نزله" للقرآن .

وظاهر قول ابن عطية موافقة القول الأول في عود الضمير المنصوب على الله تعالى، وهو غير مذكور، وعود الضمير الثاني في نزله على جبريل، ولكن السياق ومعطياته يرجحان القول الثاني، وهو عود الضمير في فإنه على جبريل، وهو أقرب مذكور، وعود الضمير الثاني في (نزله) على

---

(١) المحرر الوجيز ١٨٣/١ .

(٢) ينظر: فتح القدير ١٣٦/١ .

القرآن- وهو غير مذكور- لدلالة السياق عليه ممثلاً في اللحاق وهو قوله (عَلَىٰ قَلۡبِكَ) وقوله (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ) وقوله (وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ) وهذه كلها من أوصاف القرآن .

وقد أكد ذلك البغوي في قوله : (فإنه) يعني جبريل ،(نزله) يعني القرآن ، كناية عن غير مذكور(١).

وقد قدَّم الزمخشري تعليلاً لعود الضمير على القرآن في" نزله" بقوله: " ونحو هذا الإضمار- أعني إضمار ما لم يسبق ذكره- فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يُجْعَل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته"(٢)

كما أن عود الضميرين على جبريل والقرآن يتوافق مع السياق العام للقرآن الكريم ممثلاً في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾(الشعراء:١٩٣ ،١٩٤) ، وقد أيد ذلك ابن جزي مستنداً إلى السياق في قوله:" وهذا أظهر القولين؛ لأن قوله: (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ) من أوصاف القرآن " (٣)

وقد وجَّه أبو حيان مرجع الضميرين توجيهاً سياقيا يتوافق مع المعنى مؤكداً عود الضمير في (فإنه) على جبريل، وعود الضمير في (نزله) على القرآن لدلالة المعنى عليه، مؤيداً ذلك بسياق لاحق وهو قوله: (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ) (وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ) وهذه كلها من أوصاف القرآن، ولقوله أيضاً

---

(١) تفسير البغوي ١٤٥/١ .

(٢) الكشاف ١٦٩/١، وينظر: تفسير الرازي ٦١٢/٣، تفسير النسفي ١١٣/١ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٩١/١ .

:(بِإِذْنِ ٱللَّهِ) أي: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك بإذن الله .

ثم يعرض القول الآخر بأن الضمير في فإنه عائد على الله ، وفي نزله عائد على جبريل، والتقدير فإن الله نزل جبريل بالقرآن على قلبك، ثم يقول : وفي كل من هذين التقديرين إضمار يعود على ما يدل عليه سياق المعنى، ثم صرَّح بأن التقدير الأول أولى[1]؛ لأن السياق اللغوي يدعمه فجبريل أقرب مذكور، والقرآن – وإن لم يسبق له ذكر – لدلالة السياق عليه، وفرط شهرته، وذكر أوصافه لاحقاً .

وقد استند ابن عاشور في إثبات الضمير في (نزله) للقرآن إلى سياق سابق وهو قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ﴾ (البقرة:٩١)، أو لأن الفعل نزَّل لا يصلح إلا له هنا على حد قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ (الواقعة: ٨٣)، يقول الدكتور/ وهبة الزحيلي: ونزَّله أي القرآن لدلالة الحال عليه مثل:(إنا أنزلناه) أي القرآن [2].

ويلاحظ وجود قرينة صارفة لعود الضمير إلى غير مذكور لشهرته وذكر أوصافه.

النموذج الحادي عشر

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (البقرة:١١٢) .

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٥١٢/١ .

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د/ وهبة الزحيلي ٢٣٢/١– دار الفكر المعاصر– دمشق ط٢ ١٤١٨هـ .

نص الشيخ: " وعاد الضمير في " له" على لفظ من وكذلك في قوله "أجره" ، وعاد في "عليهم" على المعنى، وكذلك في "يحزنون " [١].

تعددت الضمائر في هذه الآية فذكر ابن عطية منها أربعة، اثنان منها يعودان على لفظ "من"؛ فتطابقا مع لفظها في الإفراد والتذكير، واثنان منها يعودان على معناها؛ فتطابقا معه في الجمع .

قال الطبري: وإنما قال جل ثناؤه : " وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " وقد قال قبل: فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ" لأن "من" التي في قوله : " فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ" في لفظ واحد ومعنى جميع، فالتوحيد – إفراد الضمير – في قوله " فَلَهُ أَجْرُهُ "للفظ، والجمع في " وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ" للمعنى [٢].

وهذا هو الأفصح أن يبدأ أولاً بالحمل على اللفظ، ثم بالحمل على المعنى [٣].

وأكد ذلك السمين الحلبي في قوله: " وهذا أحسن التركيبين، أعني البداءة بالحمل على اللفظ ثم الحمل على المعنى " [٤].

ولا أعلم خلافاً بين المفسرين في عود الضمائر على "من" ؛ وذلك لوضوحه ومراعاته لظاهر السياق، وقد صرَّح الجميع بأن الضمائر المفردة موافقة للفظ من، والدالة على الجمع موافقة لمعناها، فلفظها مفرد ومعناها جمع .

---

(١) المحرر الوجيز ١٩٨/١ .

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٥١٣/٢ .

(٣) البحر المحيط ٥٦٤/١ .

(٤) الدر المصون ٧٣/٢، ٧٤ ، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٤٠١/٢ .

قال العكبري: " فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ" محمول على لفظ "من" وقوله:" وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ"" محمول على معناها [١] .

النموذج الثاني عشر

قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ (البقرة: ١٣١، ١٣٢)

نص الشيخ: "والضمير في بها عائد على كلمته التي هي" قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ"، وقيل: على الملة المتقدمة، والأول أصوب؛ لأنه أقرب مذكور[٢]

عرض الشيخ في تحديد مرجع الضمير في "بها" قولين:

الأول: أنه يعود على كلمة إبراهيم – عليه السلام- " قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ" .

الثاني: أنه يعود على الملة المذكورة قبل، ثم صرَّح بأن القول الأول أصوب مستنداً إلى ظاهر السياق بعود الضمير إلى أقرب مذكور، وردَّ ما عدا ذلك .
وقد وافقه الثعالبي ناقلاً قوله بلا نسبة [٣].

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ص ٧٤- تعليق: عبد المنعم خليل ابراهيم – دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٤٢١هـ، التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ١٠٦/١- تح: علي محمد البجاوي- الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه .

(٢) المحرر الوجيز ٢١٣/١ .

(٣) ينظر: تفسير الثعالبي ٣٢١/١ ، تفسير القرطبي ٢/ ١٣٥ .

والسياق اللغوي يؤيد قول ابن عطية ممثلاً في السباق وهو قوله: " إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ " ، واللحاق وهو قوله :" فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ " فالآية بدأت بأمر إبراهيم بالإسلام، وختمت بالتوصية بالموت على الإسلام، فدل مزيد العناية بالإسلام على أن المراد بالكناية في " بها" كلمة الإسلام التي قالها إبراهيم –عليه السلام– على تأويل الكلمة أو الجملة (١) .

وصرَّح الزجاج أن الهاء في "بها" ترجع على الملة (٢)، ورجَّح ذلك الرازي من وجهين: الأول: أن ذلك يعني تأويل الكلمة غير مصرَّح به، وردُّ الإضمار إلى المصرَّح بذكره إذا أمكن أولى من ردِّه إلى المدلول والمفهوم .

الثاني: أن الملة أجمع من تلك الكلمة، ومعلوم أنه ما وصَّى ولده إلا بما يجمع فيهم الفلاح، والفوز بالآخرة، والشهادة وحدها لا تقتضي ذلك (٣).

وقد عرض البعض القولين جميعاً بلا ترجيح (٤).

وقد حاول البعضُ رفع هذا الإشكال والتوفيق بين الآراء وأن كلا المرجعين لا يختلف عن الآخر فقال: إن شئت رددت الكناية إلى الملة؛ لأنه ذكر ملة إبراهيم، وإن شئت رددتها إلى الوصية(٥)، فالملة أو الكلمة التي دل

---

(١) ينظر: الكشاف ١٩١/١ .

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢١١/١– تح: عبد الجليل شلبي – عالم الكتب – بيروت ط١ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، تفسير المراغي ٢٢٠/١ ، التفسير المنير للزحيلي ٣١٦/١ .

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٦٣/٤ ، البحر المحيط ٦٣٦/١ ، فتح القدير ١٦٨/١ .

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي ١٠٧/١ ، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد لهمذاني ٣٨٨/١– تح: محمد الفتيح– دار الزمان المدينة المنورة – ط ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م ، تفسير النسفي ١٣١/١ ، تفسير ابن كثير ٤٤٦/١ .

(٥) ينظر: تفسير البغوي ١٥٣/١ .

عليها " أسلمت" كلاهما غير منفك عن الآخر؛ إذ كانت هذه الكلمة من جملة الملة، والملة مقتضية لهذه الكلمة [١]

ويلاحظ أنه أيًّا ما كان مرجع الضمير هنا – كلمة الإسلام أو الملة – فالمعنى يقبله، والتركيب لا يأباه، ولكن ظاهر السياق يرجِّح عود الضمير إلى أقرب مذكور وهو الكلمة المؤولة من قوله: " أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ " ، وهو ما تمسَّك به ابن عطية، رغم تأويله وعدم صراحته، ولم يرض بديلاً عنه وإن كان صريحاً، فدلَّ ذلك على اعتماده على السياق في تحديد مرجع الضمير إلى أقرب مذكور.

النموذج الثالث عشر

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ (البقرة ١٦١، ١٦٢)

نص الشيخ: " خَالِدِينَ فِيهَا" والضمير عائد على اللعنة، وقيل على النار، وإن كان لم يجر لها ذكر لثبوتها في المعنى" [٢] .

ذكر الشيخ في تعيين مرجع الضمير قولين:

الأول: أنه عائد على اللعنة المذكورة صراحة في الآية السابقة .

الثاني: أنه عائد على النار– وإن لم تُذكر في نص الآية– إلا أنها مفهومة

---

(١) ينظر: تفسير الراغب ٣١٩/١ ، تفسير الفاتحة والبقرة لابن العثيمين ٧٤/٢– دار ابن الجوزي – السعودية – ط١ ١٤٢٣هـ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٣٢/١ ، وينظر: تفسير الثعالبي ٣٤٨/١ .

من المعنى.

وظاهر السياق أن يعود الضمير إلى مذكور مسبقاً، وهو اللعنة، وقد أكد ذلك الطبري في قوله: " وأما " الهاء والألف" اللتان في قوله: "فيها"، فإنهما عائدتان على "اللعنة"، والمرادُ بالكلام: ما صار إليه الكافر باللعنة من الله ومن ملائكته ومن الناس، والذي صار إليه بها نارُ جهنم " (١).

ورجَّح الرازي عود الضمير على اللعنة لوجوه: الأول: أَنَّ الضَّمِيرَ إِذَا وُجِدَ لَهُ مَذْكُورٌ مُتَقَدِّمٌ فَرَدُّهُ إِلَيْهِ أَوْلَى مِنْ رَدِّهِ إِلَى مَا لَمْ يُذْكَرْ.

الثَّانِي: أَنَّ حَمْلَ هَذَا الضَّمِيرِ عَلَى اللَّعْنَةِ أَكْثَرُ فَائِدَةً من حمله على النار، لأن اللعنة هُوَ الْإِبْعَادُ مِنَ الثَّوَابِ بِفِعْلِ الْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ وَإِيجَادِهِ فِي الدُّنْيَا فَكَانَ اللَّعْنُ يَدْخُلُ فِيهِ النَّارُ وَزِيَادَةٌ فَكَانَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَيْهِ أَوْلَى.

الثَّالِثُ: أَنَّ قَوْلَهُ: " خالِدِينَ فِيها " إِخْبَارٌ عَنِ الْحَالِ، وَفِي حَمْلِ الضَّمِيرِ عَلَى اللَّعْنِ يَكُونُ ذَلِكَ حَاصِلًا فِي الْحَالِ، وَفِي حَمْلِهِ عَلَى النَّارِ لَا يَكُونُ حَاصِلًا فِي الْحَالِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ التَّأْوِيلِ فَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى (٢) .

وما صرَّح به الرازي يُعَدُّ مراعاة للسياق، فهو يرد الكناية إلى أقرب مذكور صراحةً ، وهو عنده أولى من ردِّه إلى قريب غير مذكور أو مفهوم من المعنى . وقد ذكر البعض القولين جميعاً دون ترجيح (٣) وكأنَّ المرجعين مستويان عندهم ، ولا يبعد كلا المرجعين عن الآخر؛ فاللعنة موجبة للنار .

---

(١) جامع البيان ٢٦٤/٣ ، الوسيط للواحدي ٢٤٥/١ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٤٤/٤ .

(٣) ينظر: تفسير البغوي ١٩٤/١، تفسير الزمخشري ٢١٠/١، زاد المسير١٢٨/١، تفسير البيضاوي ١١٦/١ ، الدر المنثور للسيوطي ٣٩٤/١- دار الفكر- بيروت ، البحر المديد ١/

←←←

قال الراغب:" وهما في الحقيقة واحد، فكل من عليه اللعنة فهو في النار[١] .

ولكن السياق يرجح عود الضمير إلى اللعنة المذكورة سابقاً، وهو أولى من عوده إلى النار التي لم يسبق لها ذكر .

النموذج الرابع عشر

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ (البقرة: ١٦٨، ١٦٩ ، ١٧٠)

نص الشيخ: " قال الطبري: الضمير في لهم عائد على الناس من قوله" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ " ، وقيل: هو عائد على من في قوله:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾ (البقرة ١٦٥) [٢].

ذكر الشيخ- نقلاً عن الطبري- للضمير في "لهم" مرجعين:

الأول: الناس في قوله يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ " " وهو أقرب مذكور.

الثاني: "من" في قوله: " وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ " .

وواضح من قوله أنه يرجّح الرأي الأول، وهو ما يؤيده السياق، ويدعمه التركيب؛ لعود الضمير على أقرب مذكور ما لم توجد قرينة تصرفه إلى ما

→→→

١٨٩، إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ٢٢١/١ – دار الإرشاد– سوريا ، دار ابن كثير– بيروت – ط٤ ١٤١٥هـ .

(١) تفسير الراغب ٣٥٨/١ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٣٨/١ .

هو أبعد منه [١].

قال الطبري: وأشبه عندي بالصواب وأولى بتأويل الآية أن تكون "الهاء والميم" في قوله: " لهم"، من ذكر" الناس"، وأن يكون ذلك رجوعًا من الخطاب إلى الخبر عن الغائب؛ لأن ذلك عَقيب قوله: " يا أيها الناس كلوا مما في الأرض" فلأنْ يكون خبرًا عنهم أولى من أن يكون خبرًا عن الذين أخبرَ أنّ منهم " مَنْ يَتخذ من دُون الله أندادًا"، مع ما بينهما من الآيات، وانقطاع قَصَصهم بقصة مُستأنفة غيرها " [٢] .

فقوله يؤيد عود الضمير إلى أقرب مذكور، واستبعد أن يعود الضمير على "من" في قوله " وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا"

وقد أكد ذلك الثعلبي بعد أن عرض الأقوال في مرجع الضمير بقوله: وهذا عندي أولى الأقاويل؛ لأن هذه القصة عقب قوله " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ " فهو أولى أن يكون خبراً عنهم – يعني عود الضمير إلى أقرب مذكور– من أن يكون خبراً عن المتخذين الأنداد لطول

الكلام [٣] يعني لوجود فاصل وبُعْد المرجع .

وقد صرح الزمخشري بأن الضمير في "لهم" للناس ليوضح نكته بلاغية، وهي العدول بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم؛ لأنه لا ضالَّ أضل من المقلِّد [٤] فأفاد ذلك المبالغة في بيان ضلالهم .

---

(١) ينظر: جامع الدروس العربية ص ١٢٥، النحو الوافي ٢٦١/١ .

(٢) جامع البيان ٣٠٥/٣ ، وينظر: تفسير القرطبي ٢١٠/٢.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٤٠/٢ ، تفسير البغوي ١٩٨/١، ١٩٩ .

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري ٢١٣/١، التحرير والتنوير١٠٦/٢ .

وظاهر قول البيضاوي ترجيح قول الزمخشري [١]

وأيده أبو حيان وصرَّح بأنه الظاهر، وقال إنه من باب الالتفات، وحكمته أنهم أُبْرِزوا في صورة الغائب الذي يُتَعجَّب من فعله؛ حيث دُعي إلى اتباع شريعة الله التي هي الهدى والنور، فأجاب باتباع شريعة أبيه، وكأنه يقال: هل رأيتم أسخف رأياً وأعمى بصيرة ممن دُعي إلى اتباع القرآن المنزَّل من عند الله فردَّ ذلك وأضرب عنه ؟ وأثبت أنه يتبع ما وجد عليه أباه، وفي هذا دلالة على ذم التقليد الذي هو قبول الشيء بلا دليل ولا حجة [٢] .

كل ذلك أفاده مراعاة ظاهر السياق وعود الضمير إلى أقرب مذكور، فكشف عن النكتة البلاغية – الالتفات– والعدول من الخطاب إلى الغيبة، كما أظهر الحكمة من ذلك وهي إبرازهم في صورة الغائب الذي يتعجب من فعله، كما أن فيه دلالة على ذم التقليد، واتباع الباطل بلا دليل ولا حجة .

النموذج الخامس عشر

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ (البقرة:١٩٨)

نص الشيخ : " والضمير في قبله عائد على الهدى" [٣] .

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ١١٩/١، الأساس في التفسير لسعيد حوى ٣٧١/١– دار السلام – القاهرة – ط٦ ١٤٢٤هـ .

(٢) ينظر: البحر المحيط ١٠٣/٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٧٥/١ .

صرح ابن عطية أن الضمير في" قبله" يرجع إلى الهدى المدلول عليه بقوله "هداكم" " أي وإنكم كنتم من قبل هذا الهدى من الضالين عن الحق في العقائد والأعمال بعبادة الأوثان والأصنام ، وباتخاذ الوسطاء الذين يشفعون عنده ويقربون إليه زلفى" (١) والهدى مأخوذ من "ما" المصدرية وما دخلت عليه (٢).

وقد أيد بعض المفسرين عود الضمير إلى الهدى (٣) ، بينما ذكر البعض للضمير أكثر من مرجع .

قال الثعلبي: "والهاء في قوله" من قبله" عائدة إلى الهدى، وإن شئت على الرسول – ﷺ– كناية عن غير مذكور" (٤) .

وصرَّح الرازي بأن الضمير في" قبله" يحتمل أن يكون راجعاً إلى الهدى، والتقدير: وإن كنتم من قبل أن هداكم من الضالين، وقال بعضهم: إنه راجع إلى القرآن، والتقدير: واذكروه كما هداكم بكتابه الذي بيَّن لكم معالم دينه وإن كنتم من قبل إنزاله ذلك عليكم من الضالين (٥) .

وذكر ابن الجوزي في هاء الكناية في " قبله" ثلاثة أقوال: أحدها أنها ترجع إلى الإسلام، والثاني: أنها ترجع إلى الهدى، والثالث: أنها ترجع إلى القرآن (٦).

---

(١) تفسير المراغي ٢/ ١٠٣ .

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي ٤٣٣/١ .

(٣) ينظر: الوسيط للواحدي ٧٨/١ ، تفسير الزمخشري ٢٤٧/١ ، تفسير البيضاوي ١٣١/١، الدر المصون ٣٣٤/٢ ، تفسير الثعالبي ٤٢٢/١ ، تفسير النسفي ١٧١/١ .

(٤) الكشف والبيان ١١٢/٢ ، وينظر: تفسير البغوي ٢٥٦/١ .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٣٠ .

(٦) ينظر: زاد المسير ١٦٦/١ ، البحر المحيط ٣٠٠/٢ ، اللباب في علوم الكتاب ٤٢٧/٣ .

قال ابن كثير: من قبل هذا الهدى، وقبل القرآن، وقبل الرسول، والكل متقارب ومتلازم وصحيح [١] فقد ساوى بين مراجع الضمير، ولكن السياق يرجح عود الضمير إلى الهدى؛ لأنه مدلول عليه بالفعل "هداكم" فهو في حكم المذكور، وعود الضمير إلى مذكور أو مدلول عليه أولى من عوده إلى غير مذكور .

وقد صرح القرطبي بأن عود الضمير إلى الهدى أظهر[٢] وأولى من غيره .

ويلاحظ أن ابن عطية لم يذكر إلا مرجعاً واحداً للضمير هنا، وكأنه يستند إلى السياق ويؤيد عود الضمير إلى ما يدل عليه الكلام .

النموذج السادس عشر

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ (البقرة: ٢١٣)

نص الشيخ: " والضمير في "فيه" عائد على "ما" من قوله: "فيما" ، والضمير في فيه الثانية يحتمل العود على الكتاب، ويحتمل على الضمير الذي قبله " [٣].

ذكر الشيخ أن الضمير في "فيه" الأولى يعود إلى "ما" من قوله "فيما"، والمعنى: ليقضى بينهم فيما اختلفوا فيه من أمور الدين، وما اختلف فيه أي في الدين [٤] وما هنا موصولة بمعنى الذي [٥].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٥٥٥ .

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ٢/٤٢٧ .

(٣) المحرر الوجيز ١/٢٨٦ .

(٤) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ١/١٤٠ .

(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش ١/٣١٣ .

قال البيضاوي: " فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ: في الحق الذي اختلفوا أو فيما التبس عليهم " وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ": في الحق أو الكتاب [١] .

وقال ابن الجوزي: قوله تعالى: " فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ " يعني الدين [٢] يعني أن الذي اختلفوا فيه هو الدين، وعليه فالهاء تعود إلى الدين .

وقوله تعالى: " وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ" في هذه الهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى محمد- صلى الله عليه وسلم- قاله ابن مسعود، والثاني: إلى الدين قاله مقاتل، والثالث: إلى الكتاب[٣] .

وقد احتكم بعض المفسرين إلى ظاهر السياق فصرَّح بأن " الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ: " فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ" يَجِبُ أَنْ يَكُونَ رَاجِعًا، إِمَّا إِلَى الْكِتَابِ، وَإِمَّا إِلَى الْحَقِّ، لِأَنَّ ذِكْرَهُمَا جَمِيعًا قَدْ تَقَدَّمَ، لَكِنَّ رُجُوعَهُ إِلَى الْحَقِّ أَوْلَى، لِأَنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ لِيَكُونَ حَاكِمًا فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فَالْكِتَابُ حَاكِمٌ، وَالْمُخْتَلَفُ فِيهِ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، وَالْحَاكِمُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُغَايِرًا لِلْمَحْكُومِ عَلَيْهِ " [٤].

وقد ذكر أبو حيان أنه يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ دِينُهُ، أَوْ: هُمَا، أَوْ: كِتَابُهُ... والضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ: وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ، يَعُودُ عَلَى مَا عَادَ عَلَيْهِ فِي: فِيهِ، الْأُولَى، ... والْمَعْنِيُّ: بما، أهو الدين، أَوْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَمْ دِينُهُ؟ أَمْ هُمَا؟ أَمْ كِتَابُهُ؟ [٥]

---

(١) تفسير البيضاوي ١/١٣٥ .

(٢) ينظر: زاد المسير ١/١٧٧ .

(٣) ينظر: زاد المسير ١/١٧٧ .

(٤) تفسير الرازي ٦/٣٧٥ .

(٥) ينظر: البحر المحيط ٢/٣٦٦ .

والحقيقة أن كل هذه التأويلات لمعنى "ما" التي تُعد مرجعاً للضمير في "فيه" كلها محتملة، ولا يبعد معناها فالتركيب يقبلها، والمعنى لا يرفضها .

النموذج السابع عشر

قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ (البقرة :٢٥٥)

نص الشيخ: والضمير في قوله" بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ" عائد على كل من يعقل ممن تضمنه قوله:" لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ" (١).

صرح الشيخ بأن الضميرين في" أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ" يرجعان إلى "ما" التي تتضمن كل ما في السماوات والأرض من عاقل وغير عاقل، فالضميران يعودان على من يعقل، والمعنى: " أنه لا يخرج عن علمه معلوم، ولا يلتبس عليه موجود ولا معدوم" (٢)

وقد ذكر الزمخشري مرجعين للضميرين في قوله عند تفسير قوله: " يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ" ما كان قبلهم وما يكون بعدهم،، والضمير لما في السموات والأرض لأنّ فيهم العقلاء، أو لما دل عليه مَنْ ذَا من الملائكة والأنبياء" (٣).

وكذا ذكر بعض المفسرين مرجعين للضمائر هنا (٤).

---

(١) المحرر الوجيز ٣٤١/١ .

(٢) لطائف الإشارات للقشيري ١٩٧/١– تح: إبراهيم البسيوني– الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣ (بلا تاريخ) .

(٣) الكشاف ٣٠١/١ ، وينظر: تفسير الرازي ٧/ ١١، ١٢ ، تفسير البيضاوي ١٥٤/١ .

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٤/ ٣٢٠ ، تفسير النيسابوري ١٤/٢ ، البحر المحيط ٦١١/٢ ، تفسير أبو السعود ٢٤٨/١ .

وقوله: " يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ" ظاهره يقتضي الإشارة إلى جميع الخلق، وقال مقاتل: هم الملائكة، والذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة (١).

ويبدو أن ابن عطية استند إلى السياق في تحديد مرجع الضمير هنا؛ لأنه لم يذكر إلا مرجعاً للضمير وهو العقلاء مما تضمنه معنى "ما" .

وقد أكد ذلك ابن جزي في قوله: الضمير عائد على من يعقل ممن تضمنه قوله: لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ (٢)

وأيد الشوكاني ذلك قائلاً: " الضميران لما في السماوات والأرض بتغليب العقلاء على غيرهم" (٣) ، ويؤيد ذلك ما يلي:

أولاً: أن في ذلك مراعاة لظاهر السياق، وهو عود الضمير إلى أقرب مذكور، فهو أولى من عوده على "من ذا" لأنه أسبق في الذكر.

ثانياً: أنه عبر بضمير جمع الذكور "هم" المشتمل عليه (أيديهم ، خلفهم) ، وفي ذلك مطابقة لما صرح به ابن عطية من عود الضمائر على العقلاء، وعبَّر بضمير العقلاء تغليباً لجانبهم في السماوات والأرض من ملائكة أطهار، وأُناسِيّ سواء أكانوا أشراراً أم كانوا أبراراً (٤).

---

(١) تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي ٣٦/١- تح: طارق فتحي- دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ١٤٢٥هـ ، وينظر: زاد المسير ٢٢٩/١ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١٣١/١، ١٣٢ .

(٣) فتح القدير ٣١٢/١ .

(٤) ينظر: زهرة التفاسير ٩٣٨/٢ ، التفسير الوسيط لطنطاوي ٥٨٥/١ .

النموذج الثامن عشر

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥)

نص الشيخ: " وفي قوله تعالى: "وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ" أربع تأويلات: أحدها أن الضمير عائد على الربا بمعنى: وأمر الربا إلى الله في إمرار تحريمه أو غير ذلك، والثاني: أن يكون الضمير عائداً على ما سَلَفَ، أي: أمره إلى الله في العفو عنه وإسقاط التبعية فيه، والثالث: أن يكون الضمير عائداً على ذي الربا بمعنى أمره إلى الله في أن يثيبه على الانتهاء أو يعيده إلى المعصية في الربا، والرابع: أن يعود الضمير على المنتهي ولكن بمعنى التأنيس له وبسط أمله في الخير" (١).

عرض الشيخ أربع تأويلات لمرجع الضمير في قوله: وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ" والمعنى: أمره إلى الله " يحكم فيه بعدله، ومن العدل ألا يؤاخذ بما أكل من الربا قبل التحريم، وبلوغه الموعظة من ربه، وفي هذا إيماء إلى أن تلك الإباحة لما سلف رخصة للضرورة ، وترشد إلى أن ردِّ ما أخذه من قبل النهي إلى أربابه من أفضل العزائم" (٢).

وظاهر قول الطبري أن الضمير في "وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ" يرجع إلى آكل الربا أي: "وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم، وبعد انتهاء آكله عن أكله، إلى الله في عصمته وتوفيقه، إن شاء عصمه عن أكله وثبَّته في انتهائه عنه، وإن شاء خَذَله(٣)

---

(١) المحرر الوجيز ١/٣٧٢ .

(٢) تفسير المراغي ٣/٦٥.

(٣) تفسير الطبري ٦/١٤ ، وينظر: تفسير ابن جزي ١/١٣٧ .

وقد صرَّح البعض أن الضمير عائد على المنهي أي: إن شاء عصمه حتى يثبت، وإن شاء خذله حتى يعود [١]. ولا يبعد هذا القول عن قول الطبري؛ إذ المنهي هو آكل الربا.

وعود الضمير إلى المنتهي عن أكل الربا يرشحه السياق ويؤكده مستنداً إلى السباق وهو قوله: " فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ " واللحاق وهو مؤخرة الآية " وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ " .

وقد صرَّح الرازي – مستنداً إلى السياق – أن المراد مَنْ ترك استحلال الربا في قوله: " أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ" فَفِيهِ وُجُوهٌ لِلْمُفَسِّرِينَ، إِلَّا أَنَّ الَّذِي أَقُولُهُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مُخْتَصَّةٌ بِمَنْ تَرَكَ اسْتِحْلَالَ الرِّبَا مِنْ غَيْرِ بَيَانِ أَنَّهُ تَرَكَ أَكْلَ الرِّبَا، أَوْ لَمْ يَتْرُكْ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مُقَدِّمَةُ الْآيَةِ وَمُؤَخِّرَتُهَا" [٢] .

وأكد أبو حيان أن " الظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي: أَمْرُهُ، عَائِدٌ عَلَى الْمُنْتَهِي، إِذْ سِيَاقُ الْكَلَامِ مَعَهُ، وَهُوَ بِمَعْنَى التَّأْنِيسِ لَهُ وَبَسْطِ أَمَلِهِ فِي الْخَيْرِ، كَمَا تَقُولُ: أَمْرُهُ إِلَى طَاعَةٍ وَخَيْرٍ" [٣] .

ويلاحظ أنه عند تعدُّد الآراء واختلافها في تحديد مرجع الضمير يجب الاحتكام إلى السياق؛ ليعين أحد هذه الآراء والأقوال، ويلاحظ أن القول الذي يرجحه السياق يكون أصح الأقوال وأقواها؛ لملائمته للتركيب سباقاً ولحاقاً، وموافقته للنظم، فيكون مدعوماً بالدليل ومصحوباً بالحجة .

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي ٢٨٣/٢، التفسير الوسيط للواحدي ٣٩٥/١، تفسير البغوي ٣٨٣/١ .

(٢) مفاتيح الغيب ٧٩/٧، ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٤٥٥/٤ .

(٣) البحر المحيط ٧٠٩/٢ ، وينظر: تفسير الثعالبي ٥٣٥/١ ، تفسير القرطبي ٣٦١/٣ ، فتح القدير ٣٣٩/١ ، التحرير والتنوير ٩٠/٣ .

المبحث الثاني

أثر السياق في تقدير مرجع الضمير إلى غير مذكور

النموذج الأول

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ (البقرة:٧٨)

نص الشيخ: " وأُمِّيُّونَ هنا عبارة عن جَهَلة بالتوراة، قال أبو العالية ومجاهد وغيرهما: المعنى ومن هؤلاء اليهود المذكورين، فالآية منبهة على عامتهم وأتباعهم، أي إنهم ممن لا يطمع في إيمانهم لما غمرهم من الضلال، وقيل: المراد هنا بالأميين قوم ذهب كتابهم لذنوب ركبوها فبقوا أميين، وقال عكرمة والضحاك: هم في الآية نصارى العرب، وقيل: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: هم المجوس، والضمير في مِنْهُمْ على هذه الأقوال هو للكفار أجمعين، قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وقول أبي العالية ومجاهد أوجه هذه الأقوال" [(١)].

عرض ابن عطية عدة أقوال في توضيح معنى أميين وبناء على هذه الأقوال صرَّح بأن الضمير في "منهم" للكفار أجمعين، ثم يعود ليختار قولاً من هذه الأقوال، وهو أن المراد بالأميين اليهود، وهو غير مذكور صراحةً، ويرى أنه أوجه الأقوال وأرجحها .

وقد صرَّح جمهور من المفسرين بأن الضمير في "منهم" لليهود [(٢)]، وهم غير مذكورين صراحةً، وإنما يفهم ذلك من مضمون الآيات السابقة التي

---

(١) المحرر الوجيز ١٦٩/١ .

(٢) ينظر: تفسير مقاتل ١١٨/١، تفسير الطبري ٢٥٧/٢، تفسير البغوي١٣٦/١، زاد المسير ٨١/١، تفسير الرازي ٥٦٣/٣، تفسير النسفي ١٠٣/١، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة ←←←

قصَّ الله فيها قصصهم، وفنَّد أصنافهم، وأيأس أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من إيمانهم فقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (البقرة:٧٥) . ويؤكد عود الضمير على اليهود– وهم غير مذكورين– سياق الحال ممثلاً في سبب نزول الآيات، كما هو واضح من سياق الآيات وهي تتحدث عنهم .

قال أبو حيان: ظاهر الكلام أنها نزلت في اليهود قاله ابن عباس، وهو الأظهر؛ لأن سياق الكلام إنما هو مع اليهود فالضمير لهم [(١)].

ويلاحظ أن سياق الحال – المتمثل في سبب النزول – لا يقل أهمية عن السياق المقالي أو اللغوي في تقدير مرجع الضمير، حتى ولو لم يسبق له ذكر في الكلام .

النموذج الثاني

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (البقرة:١١٦)

نص الشيخ: " واختلف على من يعود الضمير في قالُوا، فقيل: على النصارى، لأنهم قالوا المسيح ابن الله، قال القاضي أبو محمد: وذكرهم أشبه بسياق الآية، وقيل: على

→→→

١٢٣/١– تح: أحمد عبد الله القرشي– الناشر: د/حسن عباس زكي– القاهرة – ط ١٤١٩هـ، فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين المقدسي ١٣٦/١– تح: نور الدين طالب– دار النوادر– ط١ ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م .

(١) ينظر: البحر المحيط ٤٤٤/١ .

اليهود، لأنهم قالوا عزير ابن الله، وقيل: على كفرة العرب لأنهم قالوا الملائكة بنات الله" (١).

ذكر الشيخ الخلاف في مرجع الضمير في" قالُوا" وعرض الآراء في ذلك، ثم رجح – مستنداً إلى السياق– أنه يعود إلى النصارى وهم غير مذكورين .

وأياً ما كان تقدير المرجع هنا فالسياق يقبله، والمعنى لا يعارضه؛ لأن كلاً من اليهود والنصارى ومشركي العرب قد نسبوا الولد إلى الله سبحانه وتعالى عما يقولون.

ويرجع اختلافهم في تقدير مرجع الضمير لاختلافهم في سبب النزول، قال مقاتل: إنما نزلت في نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما من الوفد قدموا على النبي – ﷺ – بالمدينة فقالوا: عيسى بن الله، فأكذبهم الله سبحانه وعظَّم نفسه – تعالى عما يقولون– فقال :" بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ" يعني لله من فيهما (٢)، وقد أيد ذلك الطبري (٣).

وصرَّح الثعلبي بأنها نزلت في يهود أهل المدينة حيث قالوا: عزير بن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح بن الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله (٤)، وتابعه في ذلك جُلَّة من المفسرين (٥). وأكد ذلك الواحدي في أسباب النزول (٦).

---

(١) المحرر الوجيز ٢٠١/١ .

(٢) ينظر: تفسير مقاتل ١٣٣/١ .

(٣) ينظر: جامع البيان ٥٣٧/٢ ، تفسير السمعاني ١٣٠/١ .

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٢٦٤/١ .

(٥) ينظر: تفسير البغوي ١٥٨/١، زاد المسير ١٠٤/١، تفسير البيضاوي ١٠٢/١، البحر المحيط ٥٨٠/١ ، اللباب في علوم الكتاب ٤٢١/٢ .

(٦) ينظر: أسباب نزول القرآن ص ٩، العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ٣٦٦/١– تح: عبد الحكيم محمد الأنيس– دار ابن الجوزي .

فسياق الحال هنا لا يتعارض مع تقدير المرجع ، فقيل هو عائد على الجميع من غير تخصيص فإن كلاً منهم قد جعل لله – سبحانه – ولداً [١].

" فيصح أن يكون الضمير في " قالوا" عائداً على الفرق الثلاث" [٢].

النموذج الثالث

قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾ (البقرة: ١٨٠، ١٨١)

نص الشيخ: " الضمير في بَدَّلَهُ عائد على الإيصاء وأمر الميت وكذلك في سَمِعَهُ، ويحتمل أن يعود الذي في سَمِعَهُ على أمر الله – تعالى– في هذه الآية، والقول الأول أسبق للناظر، لكن في ضمنه أن يكون المبدل عالماً بالنهي عامداً لخلافه، والضمير في "إِثْمُهُ" عائد على التبديل" [٣].

الشاهد هنا ثلاثة ضمائر: الأول والثاني: الهاء في " بدله وسمعه" وهما يعودان على إيصاء الميت– وهو غير مذكور– وهو ظاهر يتبادر للناظر لأول وهلة، ثم عرض احتمال عود الهاء في سمعه على أمر الله .

الضمير الثالث: الهاء في " إثمه" عائد على التبديل المدلول عليه بالفعل "بدله" ،

وهذا القول صرح به الطبري– مستنداً إلى ظاهر السياق– حيث قال: الهاء في "فمن

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٥٨٠/١ .

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي ٢٥٦/١ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٤٩/١ .

بدلـه" عـادت علـى محـذوف مـن الكـلام يـدل عليـه الظـاهر، وذلـك هـو أمـر الميـت، وإيصاؤه إلى من أوصَى إليه، بما أوصَى به، لمن أوْصَى له.

ومعنـى الكـلام: فأوصـوا لهـم- الوالـدين والأقـربين- فمـن بـدل مـا أوصـيتم بـه لهـم بعد ما سَمعكم توصون لَهم، فإنما إثم ما فعل من ذلك عليه دونكم.

ثـم يقـدم دلـيلاً منطقيـاً علـى ذلـك قـائلاً: وإنمـا قلنـا إن "الهـاء" فـي قولـه: "فمـن بدلـه" عائـدة علـى محـذوف مـن الكـلام يـدل عليـه الظـاهرُ؛ لأن قولـه: " كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ " مـن قـول الله، وأنّ تبـديل المبـدِّل إنمـا يكـون لوصـية الموصِـي، فأمـا أمـرُ الله بالوصـية فـلا يقـدر هـو ولا غيـره أن يبدِّلـه، فيجـوز أن تكـون "الهـاء" فـي قولـه: " فمـن بدلـه" عائـدة علـى "الوصية" .

وأمـا "الهـاء" فـي قولـه :"بعـد مـا سـمعه"، فعائـدة علـى "الهـاء" الأولـى فـي قولـه: "فمن بَدَّله".

وأمـا "الهـاء" التـي فـي قولـه: "فإنمـا إثمـه"، فإنهـا مكنـيٌّ "التبـديل"، كأنـه قـال: فإنمـا إثـم مـا بـدَّل مـن ذلـك علـى الـذين يبدلونـه[1]، وصـرح بـذلك جمهـور مـن المفسرين [2].

وقد قدم أبـو حيـان دلـيلاً سياقياً علـى عـود الضـمير علـى محـذوف وهـو الإيصـاء فـي قولـه: الظـاهر أن الضـمير يعـود علـى الوصـية، بمعنـى الإيصـاء، أي فمـن بـدل الإيصـاء عـن وجهـه، وعـوده علـى الإيصـاء أولـى مـن عـوده علـى الوصـية؛

---

(١) ينظر: جامع البيان ٣/٣٩٦، ٣٩٧ .

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي ١/٢٧٠، تفسير البغوي ١/٢١٢، تفسير الزمخشري ١/٢٢٤، زاد المسير ١/١٣٩، مفاتيح الغيب ٥/٢٣٥، ٢٣٦ ، تفسير النسفي ١/١٥٧ .

لأن تأنيث الوصية غير حقيقي لأن ذلك لا يراعى في الضمائر المتأخرة عن المؤنث المجازي، بل يستوي المؤنث الحقيقي والمجازي في ذلك [١].

وصرح الطاهر بن عاشور بأن "الضَّمَائِرُ الْبَارِزَةُ فِي (بَدَّلَهُ وسَمعه وإثمه ويبدلونه) عَائِدَةٌ إِلَى الْقَوْلِ أَوِ الْكَلَامِ الَّذِي يَقُولُهُ الْمُوصِي وَدَلَّ عَلَيْهِ لفظ الْوَصِيَّة، وَقَدْ أَكَّدَ ذَلِكَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ "سَمِعَهُ"؛ إِذْ إِنَّمَا تُسْمَعُ الْأَقْوَالُ، وَقِيلَ هِيَ عَائِدَةٌ إِلَى الْإِيصَاءِ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ: الْوَصِيَّةُ " [٢].

ويلاحظ أن مفسِّر الضمير العائد على غير مذكور لابد له من دال يدل عليه، أو يفهم من ظاهر النص وسياق الكلام .

(١) ينظر: البحر المحيط ١٦٥/٢، الدر المصون ٢٦٣/٢، اللباب في علوم الكتاب ٢٤٤/٣ .

(٢) التحرير والتنوير ١٥٢/٢، وينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ٣٧٧/١ .

الخاتمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، **وبعد** ...

فإن أولى من يُشكر وأحق أن يُحمد وأجدر أن يُعتَرَف له بالفضل والجميل والمنة إنما هو المولى سبحانه الذي لا تُحصى ولا تنتهي مِنَنُه، فله الحمد على ما أعطى، وله الشكر على ما أنعم وتفضل، فبفضله تعالى وكرمه وجوده انتهيت من عمل هذا البحث، وقد توصَّلت من خلاله إلى النتائج التالية:

- من خلال البحث ومطالعة كتاب ابن عطية تبيَّنت أمانته العلمية التي تتضح في كثير من المواضع؛ حيث كان يصرِّح بأسماء من نقل عنهم، ويسند الأقوال إلى قائليها، والآراء إلى أصحابها، حتى الأشعار كان كثيراً ما ينسبها إلى قائليها .
- إن اعتبار السياق والاعتماد عليه في توضيح دلالات الألفاظ وتعيين إحدى دلالات المشترك والمتضاد وغير ذلك يعد من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وهو أصح وأقوى أنواع التفسير؛ إذ هو بمثابة تقديم الدليل وإقامة الحجة على الغرض المراد، وقد اعتمد ابن عطية على السياق كثيراً في ذلك .
- الصحيح أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، ولكن قد يعود إلى الأبعد إذا اقتضت القرائن السياقية ذلك، ووجدت قرينة صارفة لعود الضمير إليه .
- إن تنوع القراءات القرآنية واختلافها– أحيانا– قد يكون سبباً في اختلاف مرجع الضمير، وتعدد الأقوال وتباين الآراء في ذلك، كما لوحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ (البقرة: ٣٦) فمن

قرأ ف " فأزلَّهما" بتشديد اللام عاد الضمير في إليه على الشجرة، ومن قرأ فأزالهما رجع الضمير إلى الجنة .

- كان ابن عطية دائماً ما يتمسك بظاهر السياق، ويرجِّح عود الضمير إلى أقرب مذكور أو مدلول عليه من الكلام الظاهر.
- لا يجوز ترك مرجع الضمير المذكور في الكلام إلى مرجع مقدَّر خفي لا دليل عليه، وهو الأكثر في الاستعمال، والقاعدة العامة في مرجع الضمير وما عليه النحاة، وكذا إذا اجتمع مرجعان أو أكثر للضمير فالعود للأقرب، إلا أن تكون هناك قرينة صارفه لعود الضمير إلى المقدر أو البعيد .
- المصدر الذي يعود عليه الضمير في بعض المواضع يكون مؤولاً من الفعل المذكور أو اسم الفاعل، ومدلول عليه بهما .
- ثبت من خلال الدراسة أن ابن عطية ينحاز للسياق، ويتمسَّك بظاهره في عود الضمير إلى أقرب مذكور وإن كان مؤولاً – غير صريح – لقربه ، ولا يرضى بديلاً عنه وإن كان صريحاً لبُعده .
- إن الأخذ بظاهر السياق والحكم بعود الضمير إلى أقرب مذكور– أحياناً – تكون فيه نكات بلاغية كالالتفات من الخطاب إلى الغيبة؛ مما يضفي على اللفظ رونقاً وجمالاً لا يتحقق بعود الضمير إلى مفسِّرٍ بعيد، وبدا ذلك واضحاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة : ١٧٠) ، هذا بالإضافة إلى ما يفيده من بيان علاقة التكامل بين علوم اللغة .
- إن سياق الحال المتمثل في سبب النزول لا يقل أهمية عن السياق اللغوي في تقدير مرجع الضمير ولا سيما إذا لم يسبق له ذكر في الكلام
- يصح أن يُقدَّر للضمير العائد على غير مذكور أكثر من مرجع ما دام ذلك لا يتنافى مع المعنى ولا يعارضه السياق .

فهرس المصادر والمراجع

الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ١٤٢٤هـ .

ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان– تح: رجب عثمان محمد– مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م .

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي– دار إحياء التراث العربي– بيروت (بلا ط وتاريخ) .

أسباب نزول القرآن للواحدي– تح: عصام الحميدان– دار الإصلاح – الدمام – ط٢ ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م .

إعراب القرآن للنحاس– تعليق: عبد المنعم خليل ابراهيم – دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٤٢١هـ.

إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش– دار الإرشاد – سوريا ، دار ابن كثير– بيروت – ط٤ ١٤١٥هـ .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي– تح: محمد المرعشلي– دار إحياء التراث العربي– بيروت ط١ ١٤١٨هـ.

إيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري– تح: د/ ضيف القاسمي– دار الغرب الإسلامي– بيروت ط١ ١٤١٥هـ .

بحر العلوم للسمرقندي – (بلا ط وتاريخ) .

البحر المحيط في التفسير لأبي حيان – تح: صدقي محمد جميل – دار الفكر بيروت– ط ١٤٢٠هـ .

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة – تح: أحمد عبد الله القرشي– الناشر: د/حسن عباس زكي – القاهرة – ط ١٤١٩هـ.

البرهان في علوم القرآن للزركشي– تح: محمد أبو الفضل ابراهيم – دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي (بلا ط وتاريخ) .

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأبي جعفر– دار الكتاب العربي – القاهرة ١٩٦٧م .

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز آبادي– دار سعد الدين – ط١ ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي– تح: بشار عواد معروف– دار الغرب الإسلامي ط١ ٢٠٠٣م .

التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري– تح: علي محمد البجاوي– الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه .

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن عاشور– الدار التونسية ١٩٨٤م .

تذكرة الحفاظ للذهبي– تح: زكريا عميرات – دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م .

التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان – تح: د/ حسن هنداوي– دار القلم دمشق(بلا ط وتاريخ).

التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي– تح: د/ عبد الله الخالدي– شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – ط١ ١٤١٦هـ.

تفسير التستري لأبي سهل بن عبد الله التستري- تح: محمد باسل – دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٤٢٣هـ ، تفسير النيسابوري ٣١١/١ .

تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي-دار الحديث- القاهرة .

تفسير الراغب الأصفهاني- تح: د/ محمد عبد العزيز- كلية الآداب – جامعة طنطا – ط١ ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م .

تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار لمحمد رشيد رضا- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .

تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين- تح: حسين بن عكاشة ، ومحمد بن مصطفى الكنز- الفاروق الحديثة- القاهرة ط١ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م .

تفسير القرآن للسمعاني- تح: ياسر ابراهيم ، غنيم عباس – دار الوطن الرياض – ط١ ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م .

تفسير القرآن للعز بن عبد السلام – تح: د/عبد الله بن ابراهيم الوهبي- دار ابن حزم بيروت- ط١ ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.

التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب – دار الفكر العربي- القاهرة .

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د/ وهبة الزحيلي- دار الفكر المعاصر- دمشق ط٢ ١٤١٨هـ .

التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف- السعودية – ط٢ ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م .

تفسير مقاتل بن سليمان – تح: عبد الله محمود شحاتة – دار إحياء التراث- بيروت ط١١٤٢٣هـ.

تهذيب اللغة للأزهري – تح: محمد عوض مرعب– دار إحياء التراث العربي– بيروت– ط١ ٢٠٠١م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري– تح: د/ عبد الله التركي– دار هجر– ط١ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م .

جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني– المكتبة العصرية – بيروت – ط٢٨ ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م .

الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي– تح: الشيخ محمد عوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود– دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ ١٤١٨هـ .

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي– تح: د/ أحمد الخراط – دار القلم– دمشق (بلا ط وتاريخ).

الدر المنثور للسيوطي – دار الفكر – بيروت (بلا ط وتاريخ) .

دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة – دار الحديث القاهرة (بلا ط وتاريخ) .

دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/عبد الفتاح البركاوي (بلا ط وتاريخ) .

روائع البيان في تفسير آيات الأحكام لمحمد على الصابوني– مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت ط٣ ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م .

روح البيان لإسماعيل حقي– دار الفكر– بيروت .

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني– مطبعة بولاق القاهرة ١٢٨٥هـ .

السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي للمثنى عبد الفتاح محمود – رسالة دكتوراه – جامعة اليرموك – إربد – الأردن – ٢٠٠٥م .

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن سالم مخلوف – تعليق: عبد المجيد خيالي– دار الكتب العلمية لبنان ط١ ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م .

شرح ألفية ابن مالك للشاطبي– تح: مجموعة من المحققين– معهد البحوث الإسلامية بجامعة أم القرى ط ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٨م ،

طبقات المفسرين العشرين للسيوطي– تح: علي محمد عمر– مكتبة وهبة– القاهرة – ط١ ١٣٩٦هـ.

طبقات المفسرين للداوودي– دار الكتب العلمية– بيروت (بلا ط وتاريخ).

العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني– تح: عبد الحكيم محمد الأنيس – دار ابن الجوزي .

علم الدلالة أحمد مختار عمر– عالم الكتب – ط٥ ١٩٩٨م .

غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني– دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة – مؤسسة علوم القرآن– بيروت (بلا ط وتاريخ) .

غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري– تح: الشيخ زكريا عميرات – دار الكتب العلمية بيروت– ط١ ١٤١٦هـ .

غريب القرآن للسجستاني– تح: محمد أديب – دار قتيبة – سوريا ط١ ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م .

فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين المقدسي– تح: نور الدين طالب – دار النوادر – ط١ ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م .

فتح القدير للشوكاني– دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – بيروت ط١١٤١٤هـ .

في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات د/ عبد الكريم جبل –- دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧م .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري – دار الكتاب العربي– بيروت ط٣ ١٤٠٧هـ .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة – مكتبة المثنى– بغداد ١٩٤١م .

الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي– تح: الإمام أبي محمد بن عاور– دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م .

اللباب في علوم الكتاب لابن عادل– تح: الشيخ عادل عبد الموجود، الشيخ علي معوض– دار الكتب العلمية – بيروت– ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م .

لسان العرب لابن منظور – دار صادر بيروت– ط٣ ١٤١٤هـ.

المحكم والمحيط العظم لابن سيدة – تح: د/ عبد الحميد هنداوي– دار الكتب العلمية – بيروت– ط١ ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي– تح: يوسف على بديوي – دار الكلم الطيب – بيروت – ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م .

المستدرك على الصحيحين للحاكم– تح: مصطفى عبد القادر عطا– دار الكتب العلمية – بيروت– ط١ ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م .

مشكل إعراب القرآن لمكي أبي طالب– تح: د/ حاتم صالح الضامن– مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ ١٤٠٥هـ .

معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي– تح: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي– بيروت– ط١ ١٤٢٠هـ .

معاني القرآن وإعرابه للزجاج – تح: عبد الجليل شلبي – عالم الكتب – بيروت ط١ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م .

معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي لابن الأنبار– مكتبة الثقافة الدينية – مصر– ط١ ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م .

معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر لعادل نويهض– مؤسسة نويهض– بيروت – ط٣ ١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م .

الموجز في قواعد اللغة العربية لسعيد الأفغاني– دار الفكر– بيروت ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م .

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي– دار الكتاب الإسلامي– القاهرة (بلا ط وتاريخ) .

الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لمكي أبي طالب– تح: مجموعة من المحققين– الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – جامعة الشارقة – ط١ ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي– تح: مجموعة من المحققين– دار الكتب العلمية– بيروت– ط١ ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م .